صورة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

في ضوء كتابات مُؤرخي غرب أوربا على عصر الحروب الصليبية ١٠٩٥-١٢٩١م

د. حجازي عبد المنعم سليمان[١]

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على أهم ملامح صورة الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في ضوء كتابات مؤرخي غرب أوربا خلال عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م) بصفتها فترة مهمة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. وسوف يقتصر البحث على تقديم تلك الصورة في ضوء كتابات مُؤرخي غرب أوربا آنذاك تمييزًا لهم عن المؤرخين غير الأوربيين الذين أرخوا لعصر الحروب الصليبية. ومما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع أن أغلب الأفكار التي ناقشها المستشرقون عن سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كانت وليدة حقب تاريخية سابقة على غرار العصر البيزنطي عمومًا وفترة الحروب الصليبية خصوصًا[٢] وذلك نتيجة للاحتكاك المُباشر

---

(١) أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد (كلية الآداب- جامعة المنوفية)

(٢) ورث غرب أوربا الصورة التي تشكلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في القسطنطينية وغلب عليها التعصب أكثر من الموضوعية، وغالبيتها مُستقى من مقاربات بيزنطية قديمة وتصورات خيالية تعود إلى الرؤى الأخروية المستمدة من العهد القديم. وكان لمسيحي بلاد الشام دور في الرؤية التي صورت الإسلام على أنه بدعة مسيحية وانتقلت رؤيتهم إلى البيزنطيين ومنهم صُدّرت بعض ملامحها إلى غرب أوربا فيما بعد. ويقف يوحنا الدمشقي *John of Damascus* في مقدمة المسيحيين الشاميين غير المعترفين بالإسلام، وقد سعى إلى تفنيد الإسلام ومحاربته في عدة كتب حملت العناوين التالية: "الهرطقات" و"عن هرطقة الإسماعيليين" وغيرها، علاوة على ما وضعه كل من الراهب ثيوفانيس المعترف *Theophanes the Confessor* ونيقيتاس البيزنطي *Nicetas of Byzantium* في القرن التاسع الميلادي، وكان لكتابات نيقيتاس دور بارز في تشكل الرؤى الأوربية عن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال كتابه "تفنيد الكتاب المُزيف الذي كتبه محمد" وكان له دور في التأثير على غالبية السير الذاتيه التي وضعت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في أوربا العصور الوسطى خلال القرنين الحادي والثاني عشر. علاوة على تأكيد نقيتاس خونياتس *Nicetas Choniates* - في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي - الرؤى الغربية والتصورات التي تشكلت عن الإسلام، وتبعه في ذلك المؤرخ البيزنطي بارتليميو الرهاوي الذي وصف الإسلام بالهرطقة ونسب كل ما تعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تعليم الراهب المنشق.

وقد ذهب سوذرن وغيره إلى أن مؤرخي غرب أوربا لم يرثوا عن البيزنطيين سوى معلومات قليلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتمثل ما وصلهم في أنه صلى الله عليه وسلم رجل ضعيف يصاب بالصرع وقد تزوج من امرأة ثرية، وتعلم دعوته المهرطقة على يد الراهب - سرجيوس أو بحيرى - المنشق على الكنيسة، وقد سعى إلى هدم المسيحية من خلال التشريع لكثير من الحريات، ناهيك عن مفهوم الجنة التي يغلب عليها في المفهوم الإسلامي التحلل الخلقي والكسل والعري ووفرة الطعام من اللبن والعسل. وعلى أساس من هذه المعالم القليلة والمُضللة فقد شيد مؤرخو غرب أوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بناء ضخمًا من الحكايات التي يغلب عليها الطابع الأسطوري والإعجازي عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أعتاد المؤرخون اللاتين أن يطرحوا على أنفسهم أسئلة عن الرسول صلى الله عليه وسلم الإنسان وعن أسباب نشر دعوته، ثم يجيبون عليها بأنه كان ساحرًا استطاع بسحره وسعة حيلته أن يقضي على المسيحية في الشرق، وأن ينشر دعوته أو هرطقته ويُغري الناس بإتباعه. وأكد سوذرن اعتماد بعض الحوليات الأوربية في الصور التي رسمتها عن الإسلام على روايات شفهية ربما كان مرجعها أحد المسلمين المرتدّين. وقد وافقته في ذلك *Luchitskaja* التي أوضحت تغلب المصادر الشفهية والرؤى الشعبية على مدوني السير الشعبية التي عالجت حياة

والاتصال الذي وقع بين الأوربيين اللاتين وبين المسلمين في الشرق، ويرى الباحث أن هذا الموضوع يُجذّر لأهم ملامح الصورة التي شكل المُستشرقون على خلفيتها صورتهم المُشوهة والمُلفقة عن الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم(١).

وقد نتج عن ذلك رسم كثير من الصور المُلفقة والمغلوطة عن الرسول صلى الله عليه وسلم كأداة للتحريض ضد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه دعا إلى الإسلام المُعادي من وجهة نظرهم للمسيحية. ويهدف الباحث إلى تفسير أهم ملامح صورتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفقًا لظروف عصرهم وثقافتهم وتوجهاتهم، خصوصًا أن البابوية لفقت الأباطيل والأكاذيب ضد المسلمين ووظفتها في الدعاية المُسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم(٢) كي تُثير حماسة الأوربيين لحثهم على المشاركة في الحملات الصليبية حينما تنهار

الرسول صلى الله عليه وسلم في أوربا القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين. علاوة على غلبة التراث الكنسي النمطي والمتوارث في أوربا في الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. وأكدت أرمسترونج انعدام معرفة غرب أوربا بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قبل عام ١١٠٠م - أي وقت قدوم الحملة الصليبية الأولى - ولكن بات غالبية غرب أوربا يعرفونه صلى الله عليه وسلم بعد عام ١١٢٠م، ثم بدأت تلك المعارف في الازدياد، وحرص المؤرخون اللاتين على تقديم صورة مُفرطة في الخيال الشعبي والتي تاق رجل العصور الوسطى إلى سماعها. انظر: سوذرن(ريتشارد): صورة الإسلام في أوربا العصور الوسطى، ترجمة: رضوان السيد، بيروت، ٢٠٠٥م ، ص٦٧-٦٨، ٧٦؛ كارين أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني، سطور، ١٩٩٨م، ص٣٩. وأيضًا:

Luchitskaja, S., 'The Image of Muhammad in Latin Chronography of the twelfth and thirteenth centuries', *JMH*, 26/ 2 (2000), pp.117-26; Meyendorff, J., 'Byzantine Views of Islam', *DOP*, 18 (1964), pp.116, 119; Tolan, J., *Saracens, Islam in the Medieval European Imagination*, (New York, 2002), p. 52; Sahas, D., *John of Damascus on Islam the "Hersey of the Ishmaelites"*, (Leiden, 1972), p.73.

وعن الجدل البيزنطي وتوظيفه ضد الإسلام عمومًا والرسول صلى الله عليه وسلم خصوصًا انظر: طارق محمد منصور: "البيزنطيون وترجمة القرآن الكريم إلى اليونانية في القرن التاسع الميلادي: الجزء الثلاثون أنموذجًا"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، عدد ٨، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٨٣-١٣٠؛ عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين في الكتابات الإيطالية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ٢٠١٥م، ص١٩-٢٤. وأيضًا:

The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813, trans. C. Mango et al., (Oxford, 1997), p. 464; Nicetas Choniatae, *Thesauri Orthodoxae Fidei, ex libro XX De Superstitione Agarenorum*, PG, 140, (Paris, 1865), pp. 105-21. Cf. also: Abou-Seada, A., *Byzantium and Islam (9th-10th Centuries) A historical Evaluation of the Role of Religion in Byzantine-Muslim Relations*, PhD. thesis, University of Birmingham, (2000), pp. 88-9; Tarek M. Muhammad, 'The Byzantine Theologians on Muhammad and Zaynab b. Jahsh: Marriage or adultery?', *Byzantinoslavica - Revue internationale des Etudes Byzantines*, issue: 1-2 (2009), pp.140-147.

(١) السيرة النبوية في الكتابات الألمانية، أشغال الندوة الدولية التي نظمتها مجموعة البحث في السنّة والسيرة وقضايا الإعجاز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس-فاس، جمع وتنسيق: سعيد المغناوي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، إيسيسكو، ٢٠١١م، ص٣١-١٩٧.

(٢) عن الدعاية الصليبية المُسيئة للإسلام والمسلمين انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٧م، ص١٨٣-١٨٤. وأيضًا:

Roger of Wendover, *Flowers of History*, pp.71-2. Cf. also: Prutz, *Kulturgeschichte der Kreuzzüge*, (Berlin, 1883), pp. 72, 573-98, p.72.

أيديولوجيتهم[١]. وفضلًا عن ذلك فلا تُوجد دراسة مُتخصصة باللغة العربية عن هذا الموضوع وذلك بالرغم من خطورته وشدة حساسيته، بينما عالجت بعض الدراسات العربية والأجنبية صورة الإسلام والمسلمين سواء من خلال أحد المؤرخين الصليبيين أو بعضهم أم بشكل عام، وعالج بعضها مدى تطور نمط الكتابة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في ست حوليات أوربية معاصرة لفترة الحروب الصليبية[٢].

وسوف أُعالج هذا الموضوع من خلال عدة محاور يتصدرها إشكالية المصادر التي استقى منها غالبية مُؤرخي غرب أوربا مادتهم عن الإسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى أهم ملامح الصورة التي رسموها عن مولده ونسبه وبعثته صلى الله عليه وسلم، وموقفهم من تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم وأثر ذلك في رسم كثير من الصور المغلوطة، وتشكيكهم في أن دعوته صلى الله عليه وسلم لا علاقة لها بالسماء وزعمهم بأن الإسلام هرطقة منبثقة عن المسيحية تارة أو أنه دين وثني تارة ثانية والخلط بين ذلك وغيره تارة ثالثة، وموقفهم من القرآن الكريم بصفته الكتاب المُقدس المُؤيد لنبوته صلى الله عليه وسلم، واتهامهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالسطو على النبوة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وصورتهم عن أصحابه صلى الله عليه وسلم، وأهم ملامح الصورة التي رسموها عن وفاته صلى الله عليه وسلم، وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

ولعل من أهم الإشكاليات التي واجهت أغلب مؤرخي غرب أوربا غلبة الرُؤى الشعبية والتعصب وانعدام المنهجية في **المصادر التي استقوا منها مادتهم عن الرسول**

---

(١) عن الأيديولوجية الصليبية وروافدها وخطورة توظيفها دينيًا وسياسيًا وعسكريًا انظر: زابوروف: الصليبيون في الشرق، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٦م، ص٢١-٢٧، ٤٦-٤٨؛ قاسم عبده قاسم: الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، دار عين، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣-١٥، ٣١-٣٥، ٤٩-٥٣؛ قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، دار عين، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٨-٢٠؛ عبد الله الربيعي: "الدوافع الدينية للحركة الصليبية"، ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٧٩-١٢٢.

(٢) من تلك الدراسات: دراسة Munro, (D. C.), 'The Western Attitude toward Islam during the Period of the Crusaders ودراسة Meyendorff, Byzantine Views of Islam ودراسة Tolan, *Saracens, Islam in the Medieval European Imagination* ودراسة Sahas, (D.), *John of Damascus on Islam* علاوة على عدة دراسات أخرى. ولعل أقرب هذه الدراسات من موضوع دراستي Luchitskaja, The Image of Muhammad in Latin Chronography of the twelfth and thirteenth centuries ولكنها ركزت على دراسة ستة حوليات أوربية وركزت دراستها حول إشكالية محددة والمُمثلة في حقيقة تغير نمط الكتابة التاريخية في غرب أوربا عن الرسول تأثرًا بالحركة الصليبية من عدمه. وقد أفدت من تلك الدراسات جميعًا بما قدمته من رؤى وتصورات وسعت من آفاق الباحث في دراسته لهذا الموضوع.

صلى الله عليه وسلم، وتمسكهم بالقوالب الكنسية النمطية في الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي الأنماط والقوالب ذاتها التي ظهرت مع ظهور الإسلام، ثم ازدانت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر برؤى يغلب عليها المعجزات والإغراق في المخيلة الشعبية[١]. وقد اعتمد بعضهم على بعض مصادر السيرة النبوية ومصادر أخرى عربية على ما فعل وليم الصوري *William of Tyre* ووليم الطرابلسي *Wilhem von Tripolis* وبوركهارد من جبل صهيون (ت:١٢٨٣م) *Burchard of Mount Sion* ومتى الباريسي *Matthaei Parisiensis* وغيرهم، كما اعتمد الأخير على بعض المُنصرين الذين بُعثوا إلى الشرق[٢]. وكان بعضهم على دراية بالعربية[٣]، مما يعني اعتمادهم على مصادر عربية، بيد أن جيوبرت أوف

([1]) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.115-6.

([٢]) سعى يعقوب الفيتري إلى تنصير المسلمين حينما أشار في واحدة من رسائله إلى أنه وبسبب فشله في الوصول إلى بلدان المسلمين فإنه بعث إليهم بعدة رسائل بلغتهم لإقناعهم بصحة المسيحية وزيف الدين الإسلامي، وسعى أوليفر أوف بادربورن إلى محاورة المسلمين بهدف إقناعهم بصحة العقيدة المسيحية، وسعى إلى إقناع الملك الكامل - وكذا المسلمين - بالتحول إلى المسيحية. أما رواية وليم الطرابلسي التي سطرها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر فإنه وضعها بهدف مُساعدة رجال البعثات التنصيرية كي تنجح مهمتهم إلى المسلمين. ووضع همبرت مُقدم طائفة الدومينيكان كُتيب نصح فيه البابا جريجوري العاشر *Gerogery* X بخصوص المسلمين بعد أن عاش بينهم في الشرق وبات على معرفة وثيقة بهم. وأكد همبرت Hambert أنه من الخطأ مُهاجمة المسلمين لأن ذلك لن ينصرهم، ولكن على العكس من ذلك لابد من عرض العقيدة المسيحية عليهم من خلال تقديم النماذج الجيدة لهم، وذلك بالرغم من تأكيده أن المسلمين يفضلون دينهم على التنصر، وأنه لا أمل في تحول أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المسيحية ومن ثم ضرورة التصرف حيال أعدادهم المتزايدة. انظر: فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٣١، ٣١٦؛ أسامة بن منقذ: الاعتبار، تحقيق: فيليب حتى، برنستون، ١٩٣٠، ص١٣٤-١٣٥. وأيضًا: أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٤٨-٤٩، سوذرن: صورة الإسلام، ص٥٥-٦٨؛ ألبرت حوراني: الإسلام في الفكر الأوربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٢٩. وأيضًا:

James of Vitry, *Lettres*, ed. Robert Huygens (Leiden, 1960), pp. 79-97, no. 2; Roger of Wendover, *Flowers of History*, vol. II, pp.71-2; Oliver of Paderborn, 'Briefe', ed. Hermann Hoogeweg, Die Schriften des Kölner Domscholasters Oliverus (Tübingen, 1894), pp. 288-95, no. 3, pp. 296-307, no. 5, pp. 307-14, no. 6; Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo De statu Sarracenorum*, ed. & trans. Peter Engels, Wurzburg, (1992), pp.75-81, 88-90, 108-110, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 474-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438. Cf. also: Munro, D. C., 'The Western Attitude toward Islam during the Period of the Crusaders', *Speculum*, Vol. 6, No. 3, Jul. (1931), pp.341-2; Funk, P., *Jakob von Vitry: Leben und Werke*, (Leipzing, 1909), p.138; Hamilton, B., 'Knowing the Enemy: Western Understanding of Islam at the Time of the Crusades', *JRAS.*, Vol. 7, No. 3 (Nov., 1997), pp. 380-1; Kedar B. Z., *Crusade and Mission, European Approaches towards the Muslims*, (Princeton, 1984), pp. 3-41.

([3]) Matthaei parisiensis, *Chronica Majora*, Rolls Series, Edited by H R. Luard, (London, 1872), vol. III, p.344.

وقد اعتمدت أيضًا على الترجمة العربية للكتاب ضمن الموسوعة الشامية. انظر: متى الباريسي (١٢٣٥-١٢٧٣م): التاريخ الكبير، ترجمة: سهيل زكار (الموسوعة الشامية، جـ٤٠، ق١، دمشق، ٢٠٠١م). انظر أيضًا:

Kedar, *Crusade and mission*, pp. 3-41, 136-58; Richard, J., *La papaute et les missions d'Orient au moyen age* (xiii-xve siecles), (Rome, 1977), pp.37-47.

وعن الإلمام باللغة العربية في الأوساط الصليبية ومدى الإفادة منها في النواحي السياسية والإدارية والعلمية وما سواها. انظر:

Attiya, H. M., 'Knowledge of Arabic in the Crusader States in the twelfth and thirteenth centuries', *Journal of Medieval History*, Vol. 25, No. 3 (1999), pp.207-9.

نوجنت *Jubert of Nognet* صرح بأن معظم المصادر التي اعتمدوا عليها في كتاباتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم اتسمت بانعدام المنهجية، وبرر نوجنت وجهة نظره بأن تلك المصادر وُضعت بأيدي غير المُسلمين وغلب على مُصنفيها الإغراق في التعصب، بل إنه وَصَفَ ما كتبهُ عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه نتاج للرأي العام السائد في أوربا ولا يستطيع هو أو غيره تحديد مدى الصحة أو الخطأ في أخبار الرأي العام(١). وفضلًا عن ذلك فقد اعتمد بعضهم على ما روج له الملاحدة الذين ارتدّوا عن الإسلام مثل ابن الراوندي وغيره بما يخدم تصورهم الخاص عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته(٢)، ولذا غلب التشويه المتعمد والتلفيق خلافًا لسيادة الطابع الأسطوري وقصص الخوارق في تناولهم لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

وفضلًا عن ذلك فإن غالبية من كتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم من مؤرخي غرب أوربا لم يزوروا الشرق ولم يحتكوا بالمسلمين على شاكلة توما توسي *Thomae Tusci* وجيوبرت أوف نوجنت وروجر أوف ويندوفر (١٢٣٧م) *Roger of Wendover* وغوتييه *Gauthier de Compiegne* وجوتفريد *Gottfried of Viterbo* ومتى الباريسي وفانسان دي بوفييه **Vincent de Beauvais** (١١٩٠-١٢٦٤م) وأوتو الفريزي *Otto of Freising* وغيرهم. وأما من زار الشرق منهم فلم تطل إقامته بما لا يُحقق له الاتصال الذي يُوقفه على حقيقة الإسلام، ومن هؤلاء شهود عيان الحملة الصليبية الأولى من المؤرخين اللاتين من أمثال المؤرخ المجهول، وفولشر أوف شارتر *Fulcher of Chartres*، وريموندا جيل *Raimond d'Agiles*(٤)، وبطرس توديبوت *Tudedodus*(٥)، إضافة إلى مؤرخين آخرين قدموا لاحقًا واستقروا في الشرق

---

(١) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، (جـ٢)، ترجمة: سهيل زكار (الموسوعة الشامية، جـ٣٩، دمشق، ٢٠٠٠م)، ص٧٥٨-٧٥٩.

(٢) أبو شامة: الروضتين، تحقيق: إبراهيم الزيبق، جـ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٨٦-٨٧. وأيضًا: سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٧-٦٨؛ عمر إبراهيم: صورة الإسلام، ص٢٧. وأيضًا:
Munro, *The Western Attitude*, pp.329-31.
وعن بعض المُرتدين عن الإسلام انظر: فولشر أوف شارتر: الوجود الصليبي، ص١٨٢.

(3) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.115-125.

(٤) ريموندا جيل: تاريخ الفرنجة غُزاة بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص٢٥٩-٢٦١.

(٥) بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص١١٢-١١٥، ١٣٨، ١٨٥، ٢١٨-٢٢٤، ٢٣١-٢٤٠، ٣١٥-٣١٩.

فترات تفاوتت بين الطول والقصر مثل المؤرخ المجهول لصليبية ريتشارد قلب الأسد[١] وبوركهارد من جبل صهيون[٢] وغيرهما من المؤرخين والرحالة. بينما انشغل من استقر منهم في الشرق بالدفاع عن أنفسهم شأنهم شأن بقية الصليبيين الذين انغلقوا على أنفسهم في قلاع وحصون حالت بينهم وبين الاندماج مع جيرانهم من المسلمين من المُزارعين والعلماء والفقهاء والساسة وغيرهم، ويُمثل هؤلاء كل من فولشر أوف شارتر[٣] ووليم الصوري[٤] ووليم الطرابلسي[٥] وغيرهم.

وبالرغم من إشارة وليم الصوري إلى أنه عالج حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن كتابه "تاريخ أعمال أمراء الشرق" *Gesta orientalium principum* مُعتمدًا على مصادر عربية فإن ضياع كتابه أفقدنا القدرة على الحكم على قيمة المصادر التي اعتمد عليها ونوعها[٦]. أما المصادر التي اعتمد عليها بعض الأوربيين فإنهم لم يُعرِّفوا بها سوى إشارتهم

([1]) Richard of Holy Trinity, *Itinerary of Richard I and others to the Holy Land* (formerly ascribed to Geoffrey de Vinsauf), (Cambridge, Ontario, 2001), pp.5-6, 9-10, 46, 50-54, 137-140, 153-158, 195-196, 28.

([٢]) أشار بوركهارد إلى أن المسلمين أطلقوا الحرية لأرباب كل ديانة في ممارسة شعائرهم، ولحظ أن أغلب المسلمين يتزوجون من واحدة فحسب بالرغم من تشريع تعدد الزوجات لديهم، وراق له مداومة المسلمين على صلاتهم واعتقادهم بأن الله خالق كل شيء وأنهم يرون أن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو أحب رسل الله إليه. انظر:

Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, in PPTS., trans. by Aubrey Stewart, M.A., Hanover Square, vol.12, (London, 1895), pp. 50-1, 87-8, 103.

([2]) Munro, *The Western Attitude*, p. 337.

([٣]) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص٧٧-١٥٢.

([4]) William of Tyre, *A History of Deeds Done beyond the Sea*, trans. and annotated by E.A. Babcock and A.C. Krey, vo. I, (New York, 1943), pp. 26- 7, 60-1.

([٥]) عاش وليم الطرابلسي في دير قريب من طرابلس ضمن المجموعة المُسمَاة الفرير (الدومنيك)، وقد وضع كراسة يوميات في عام ١٢٧١م جاء فيها على ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم. ويُعد وليم الطرابلسي من القلائل الذين حاولوا الاعتماد على المصادر العربية، وتُعد روايته عن الإسلام واحدة من أفضل ما قدمته العقلية الأوربية وتختلف عن قصص أسلافه من الأوربيين لحرصه على طرح الدينَ الإسلاميَ للمناقشة حَسْبَ إدراكِه. انظر: عبد الرحمن بدوي: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص٨-٩. وأيضًا:

Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo*, pp.75-81, 88-90, 108-10, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 474-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438.

([6]) William of Tyre, *A History of Deeds*, vol. 1, pp. 26-7, 60-1.

ويؤكد حسين عطية أن كتاب وليم الصوري المفقود عن أمراء الشرق *Gesta Orientalium Principum* كان مصدرًا لوليم الصوري نفسه في أثناء إعداده لكتابه "تاريخ الأعمال" ومصدرًا رئيسًا فيما بعد لكل من يعقوب الفيتري ووليم الطرابلسي فيما سطروه عن تاريخ تلك الحقبة. انظر:

Jacques de Vitry, *The history of Jerusalem*, p. 8, 65-8, 79-80; Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo*, pp.75-81, 88-90, 108-10, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 474-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438. Cf. also: Attiya, *Knowledge of Arabic*, p.211.

ويطيب ليعقوب الفيتري كثيرًا - وفي مُخالفة صريحة للواقع - أن يصف المسلمين بأعداء المسيح لأنهم وثنيين. انظر:

James of Vitry, *Lettres*, pp. 79-97, no. 2.

إشارتهم وبشكل مُبهم إلى اعتمادهم على مصادر موثوق بها دون التصريح بأسماء تلك المصادر، ولم ترد أغلب مادتهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتب السيرة النبوية المعروفة. وقد بات جهل غالبيتهم باللغة العربية بمثابة عقبة أمامهم في سعيهم للوقوف على مصادر السيرة النبوية المُدونة باللغة العربية، ولذا كثيرًا ما أخطأ هؤلاء في أسماء القادة المُسلمين والأماكن التي قدموا منها وألقابهم نتيجة لجهلهم باللغة العربية[١].

وقد ظل القرآن الكريم الذي يُعد أهم مصدر للكتابة عن الإسلام والمسلمين مجهولًا لأغلب المؤرخين الأوربيين حتى منتصف القرن الثاني عشر – أي بعد خروج الحملة الصليبية الأولى بحوالي ٥٠ سنة – حينما تُرجمت معانيه على يد بطرس المُبجل (ت: ١١٥٦م) *Peter the Venerable* من دير كلوني ليس للمعرفة وإنما بهدف تفنيده ومهاجمة الإسلام والمسلمين[٢]. وعلى الرغم من ركاكة تلك الترجمة التي انتهت في يوليو ١١٤٣م ناهيك عن كثرة أخطائها[٣] فإنها ظلت الترجمة الأكثر تداولًا لمعاني القرآن في غرب أوربا[٤]. وعلى ما يبدو فإن بطرس لم يُترجم معاني القرآن وحدها وإنما حصل على ترجمة للرسول صلى الله عليه وسلم عن أحد الكتب العربية. وقد تضمنت تلك الترجمة ملامح من سيرته ودعوته صلى الله عليه وسلم، وبالطبع فقد بذل الكثيرون جهدهم لإثبات فساد العقيدة الإسلامية وهو ما يُلحظ في أوربا في أدب القرن الثالث عشر والقرون التالية له[٥].

---

(١) Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 203-13.

(2) M.T. d'Alverny, 'Deux traductions latines du Coran au Moyen Age', *Archives d'histoire doctrinale et litte´raire du Moyen Age*, 16, anne´es 1946–8, pp. 69–131; Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.117; Meyendorff, *Byzantine Views of Islam*, p. 119; Tolan, *Saracens*, p. 52.
وأيضًا: طارق منصور: البيزنطيون وترجمة القرآن الكريم إلى اليونانية، ص٨٣-١٣٠؛ عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص١٩-٢٤.

(3) Peter the Venerable, *Summa totius haeresis Saracenorum*, in Peter the Venerable and Islam, ed. & trans. J. Kritzeck, (Princeton, 1964).

(٤) انظر: عبد الرحمن بدوي: بطرس المبجل، موسوعة المستشرقين، موسوعة شبكة المعرفة الريفية، ١٩٩٢م. وأيضًا: وأيضًا:

Munro, *The Western Attitude*, pp. 337-38.

(5) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.117-25; Meyendorff, *Byzantine Views of Islam*, p. 119; Munro, *The Western Attitude*, pp. 337-38; Dembowski, P. F., 'Interpretation des mobiles chez les héros de la chanson de geste', *Actele celui de-al XII-lea Congres international de lingvistica si filologie romanica*, (Bucarest, 1971), pp. 19-28.
وعن صورة الإسلام والمسلمين في الكتابات الإيطالية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر وأهم ما رسمه هؤلاء من صور عن الرسول صلى الله عليه وسلم بخاصة والمسلمين بعامة انظر: عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص١٠-١٤٣.

وأكد الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون – الذي عاش في الشرق ما يقرب من عشر سنوات بين المسلمين والصليبيين – اعتماده على القرآن بقوله: "...ويقولون أيضًا بأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان رسول الله، وقد أُرسل لهم فقط، وقد قرأتُ شخصيًا هذا في القرآن الذي هو كتاب شريعتهم"، وبالرغم من إشارته إلى اعتماده على القرآن فإنه لم يُشر بأي لغة قرأ القرآن[١]، وقد رجح عز العرب سليمان أنه كان من الصعب على بوركهارد أن يفهم لغة القرأن الرصينة والبليغة، ولأجل ذلك فانه استبعد هذا الاحتمال ورجح اعتماد بوركهارد على ترجمة بطرس المُبجل لمعاني القرآن وليس على نسخة للقرآن باللغة العربية[٢].

وقد أشار وليم الطرابلسي خلال إقامته في الشرق إلى اعتماده على مصادر عربية وبخاصة القرآن الذي اقتبس كثيرًا من آياته، علاوة على اعتماده على بعض المصادر الأدبية الأخرى في سعيه لتوضيح بعض الحقائق المُتعلقة بالإسلام والمسلمين وبخاصة سر قوة الكتاب الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وسعى إلى إيضاح شدة الخلاف بين العقيدة الإسلامية من وجهة نظر المسيحيين عن الثالوث المسيحي[٣]، ولكنه لم يفد من المعارف الجديدة التي وقف عليها عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وظلت أفكاره متأثرة بنمط الكتابة الكنسية في أوربا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي الفترة المُتأخرة التي تبلورت فيها كثير من المشروعات والتقارير الصليبية[٤] فقد أشار الرحالة فيلكس فابري إلى اعتماده على أحد التواريخ على صفة الإطلاق دون أن يعنونه[٥]،

---

(1) Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, pp. 50-1.

(٢) عز العرب أحمد سليمان: "بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوركهارد من جبل صهيون"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، عدد، ٣٥، ٢٠١٠م، ص١٩٢-١٩٣.

(3) Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo*, pp.75-81, 88-90, 108-10, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 474-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438. Cf. also: Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 211; Hamilton, *Western Understanding of Islam*, p. 376; Kedar, *Crusade and mission*, pp. 3-41.

(٤) عن المشروعات والتقارير الأوربية المتأخرة لإحياء الحروب الصليبية ومهاجمة الشرق باستراتيجيات ومواجهات جديدة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر انظر: مارينو سانودو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ترجمة: ليم رزق الله، مراجعة: سمير خادم، القاهرة، ١٩٩١م، ص٩-٧٠، ١٢٠-١٣٦، ١٣٦-٢٠٩، ٢٦٠-٢٧٤. وأيضًا: جمال فاروق الوكيل: تطور إستراتيجية الحروب الصليبية في القرن الرابع عشر الميلادي في ضوء كتابات مارينو سانودو، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦م، ص٢٦-٤٩، ٨٨-١٢٩.

(٥) جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣ (١)، ص١٠٣٨.

وأكد فابري أخذه عن مصادر أخرى غير هذا الكتاب بما في ذلك كتاب ردد اعتماده عليه أكثر من مرة يُدعى "حصن الإيمان" وإن كان قد خلط بينه وبين القرآن في بعض الموضوعات التي عالجها عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أما أكثر مصادره التي نقل عنها فمُمثله في الترجمة التي أعدها نيقولا دي كوسا[١] لمعاني القرآن، وقد أخذ عنها نصًا ورد فيه عدم السماح للمسيحيين ببناء كنائس جديدة أو بترميم الكنائس القديمة[٢]، وهذا مما لم يرد في القرآن الكريم ولا أصل له في سوره وآياته. ونسب فابري قصة الإسراء والمعراج إلى ذلك الكتاب الذي يزعم أنه ترجمة للقرآن[٣]، وذلك على الرغم من أن القرآن الكريم تعرض لتفاصيل الإسراء والمعراج بأسلوب مُوجز ومُحكم دون استطراد بينما استطردت كتب السيرة في وصف تلك المعجزة[٤]، مما يرجح خلط فابري بين القرآن وبين أحد كتب السيرة المُتداولة في غرب أوربا.

وأشار بعضهم إلى اعتمادهم على مصادر أخرى في الكتابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك بعض المُنصرين الذين اعتمد عليهم متى الباريسي ممن بُعثوا إلى الشرق لهذا الغرض[٥]، وأشار آخرون مثل أوليفر أوف بادربورن *Oliver of Paderborn* في أحداث

(١) توقف الهجوم البيزنطي على الإسلام والقرآن بعد سقوط القسطنطينية في يد المسلمين عام ١٤٥٣م، وبعدها يتولى غرب أوربا تلك المهمة حينما شرع الكاردينال نيقولا دى كوسا (١٤٠١–١٤٦٤م) في مُهاجمة الإسلام والمسلمين بتوجيه من البابا بيوس الثاني. وقد وضع نيقولا كتاب "نقد وتفنيد الإسلام" إضافة إلى رسالة هجاء في القرآن أطلق عليها "غربلة القرآن"، وقسم هذه الرسالة إلى ثلاثة كتب سعى في الكتاب الأول إلى إثبات حقيقة الإنجيل استنادًا إلى القرآن، وعرض في الثاني للمذهب الكاثوليكي، وزعم في الثالث وجود بعض التناقضات في القرآن. انظر: عبد الرحمن بدوي: دفاع عن القرآن، ص٥-٦.

(٢) جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (٢)، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٧٣٠.

(٣) يُرجح سهيل زكار – في تعليقه على رحلة فابرى - اعتماد فابري على أحد الكتب التي عالجت قصة الإسراء والمعراج وليس القرآن؛ لأن القرآن لم يسترسل في تفاصيلها، أما مرجعه الآخر المُسمى حصن الإيمان فقد رجح زكار أن يكون كاتبه عربيًا شرقيًا أو أوربيًا، ولكن الكتاب يُنسب إلى نيقولا دي كوسا ويُرجح أن يكون ترجمة لبعض سور القرآن أو أنه نقل عن بعض المصادر العربية لأن ما نقله فابري عن السيد المسيح عليه السلام وعقيدة المسيحيين من كتاب حصن الإيمان كان قريبًا إلى حد كبير مما ورد في القرآن ولكن بتحريف الترجمة إلى حد التسطيح والاستخفاف. انظر: جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (١)، ص١٣٢٨.

(٤) جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (٢)، ص٦٨٦، ٧٣٢، ٩٢٤، ١١٨٩-١١٩٠.

(٥) كان لدى متى الباريسي مصادر أخرى ولكنه لم يُشر إليها ويُستدل على ذلك من خلال إشارته إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يُطابق وصف كتب السيرة النبوية، علاوة على الخبر الذي أورده "متى" وغيره عن السيد المسيح عليه السلام وإحيائه يافث بن نوح لسؤاله عن السفينة. انظر:

Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p.346.

وقد نُقلت تلك الرواية من تاريخ الطبري وأخذها عنه ابن كثير وعلق عليها بغرابة سندها وعدم الوثوق بها، فضلًا عن وصف متى الباريسي لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة التي وصفها بأنها تقع في الصحراء ويعيش فيها اليهود والعرب من عبدة الأوثان، وهو وصف يُطابق ما ورد في كتب السيرة إلى حد كبير. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٨-١٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، جـ٢، بيروت، ١٩٦٦م، ص٨٢.

الحملة الصليبية الخامسة (١٢١٨-١٢١٩م) على دمياط إلى حصوله على كتاب بالعربية لم يكن مُؤلفه مسيحيًا أو يهوديًا، وأن الكتاب تنبأ بما ألحقه صلاح الدين بالصليبيين وتتبع ما لحق بالأخيرين وصولًا للحقبة التي عالجها أوليفر وقت الحملة الصليبية الخامسة، ثم ربط ذلك بنبوءة قدوم الملك الأسطوري برستر جون *Prester John*[١] من النوبة لهدم مكة ونبش رفات الرسول صلى الله عليه وسلم والعبث بها[٢].

وبالرغم من أنه كان من اليسير على القساوسة والرهبان الإسبان أن يطلعوا على مصادر السيرة التي صنفها المسلمون وذلك لاتصال الإسبان بالعرب وإجادة كثيرين منهم للغة العربية، ناهيك عن ترجيح إفادتهم من المُترجمين اليهود – على ما فعل بطرس المبجل وغيره – فإنهم لم يعودوا إليها وفضلوا التمسك بما توفر لديهم من المصادر الأوربية عن الرسول صلى الله عليه وسلم. ونتيجة لذلك ولأن غالبية المُؤرخين اعتمدوا على مصادر شفهية على ما أشار نوجنت[٣] فقد غلبت السطحية والرؤى الشعبية على ما ورد لديهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم[٤].

ولذا رأى بروتس *Prutz* أن الرواية الأوربية عن الحملة الصليبية الأولى لم تقدم الكثير عن المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، واكتفى من أشار منهم إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعبارات مُوجزة وقصيرة لا تنم سوى عن جهل بسيرته صلى الله

(1) Otto of Freising, *Chronicon*, ed. Pertz, G. H., *MGH SSRG* (Hanover: Hahn, 1867), VII, 33, (pp. 334-35), trans. by James Brundage, *The Crusades: A Documentary History*, (Milwaukee, WI: Marquette University Press, 1962).

(2) Oliver of Paderborn, 'Briefe', pp. 288-95, no. 3, pp. 296-307, no. 5, pp. 307-14, no. 6. Cf. also ed. Röhricht, Reinhold, 'Ein Brief über die Geschichte des Friedens von Venedig (1177)', Neues Archiv 17 (1892), pp. 195-202, no. 5, pp. 202-6, no.6.

(٣) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، جـ٣٩، ص٧٥٨-٧٥٩.

(٤) سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٩.

عليه وسلم[١]. ويُعلل حسين عطية ذلك نتيجة لأن بعض مؤرخي الحملة الصليبية الأولى مثل ألبرت أوف أكس وبطرس توديبود وفولشر أوف شارتر وغيرهم لم يكونوا يعرفون عن المسلمين الكثير، واستدل على ذلك بعجزهم عن التعريف بالقادة المسلمين، كما أخطأ غالبيهم في أسمائهم أو البلدان التي حكموها والأماكن التي قدموا منها، ولذلك كان من الطبيعي أن يذهبوا إلى أن المسلمين يعبدون رسولهم – صلى الله عليه وسلم – وابن أخيه عليّ بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ومن ثم بقية ما لفقوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه[٢].

وقد ترتب على ذلك الجهل تلك السمة التي تكاد ترتبط بغالبية المؤرخين الصليبيين في وصفهم للمسلمين تارة بالهراطقة والكفار خصوصًا قبيل الحملة الصليبية الأولى، وتارة ثانية بالوثنيين وقت خروج تلك الحملة إلى الشرق والفترة التالية لها، وتارة ثالثة بالجمع بين

([1]) Prutz, *Kulturgeschichte der Kreuzzüge,* pp. 72, 573-98. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, pp. 329-31.

جاء وصف مؤرخي الحملة الصليبية الأولى للمسلمين بالوثنيين والهراطقة والكفار برغم ما تحمله تلك الأوصاف من تناقض؛ بحيث أدَّعى فولشر أوف شارتر قيام المُسلمين الأتراك بالإساءة إلى الحجاج الأوربيين وأسْرِهم وتدمير كنائس المسيحيين الشرقيين، وراق له وصف المسلمين بالوثنيين وأنهم جنس تستعبده الشياطين، وبالرغم من عدم تعرض فولشر إلى سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فإن نعت المسلمين بالوثنية ينسحب على من دعا إلى هذا الدين، بينما أشار بلدريك أوف دُوْل *Balderic of Dol* إلى استمرار مُعاناة المسيحيين في الشرق على أيدي المسلمين. أما روبرت الراهب *Robert the Monk* فأشار إلى الفظائع التي ارتكبها المسلمون الأتراك في حق المسيحيين في الشرق وفي تدمير الكنائس والاستيلاء عليها لإقامة الشعائر الإسلامية، ولا ريب في أن تلك الدعاية المُسيئة التي شهدت تحولًا خطيرًا في وصف المسلمين من هراطقة إلى وثنيين حملت دلالة مهمة لأنها تُقدم مبررًا لقيام جنود المسيح - عليه السلام - بمحاربة هؤلاء المُعتدين من الوثنيين. انظر:

فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص٨ –١١، ٨٧-٩٤، ١٣١-١٣٣، ١٤١-١٤٦، ١٨٢-١٩٥-١٩٦، ٣١٢.

وأيضًا: حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (٥٦٧-٦٦٦هـ/١١٧١–١٢٦٨م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٢٨؛ حسين محمد عطية: "عشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية"، مجلة المؤرخ المصري، عدد٦، ١٩٩١م، ص١١٥-١٧٦؛ طارق منصور: صورة الإسلام، ص٥١. وأيضًا:

Bongars, *Gesta Dei per Francos*, 1, pp. 382-383, trans in Oliver J. Thatcher, and Edgar Holmes McNeal, eds., A Source Book for Medieval History, (New York, 1905), pp. 513-517. Cf. also: Krey, A.C., *The First Crusade: The Accounts of Eyewitnesses and Participants*, (Princeton: 1921), pp. 28-30, 33-40; Munro, D. C., 'Urban and the Crusaders', trans. and reprints from the original oources of European history, vol 1:2, (Philadelphia, 1895), pp. 5-8; Sabbatini, I., 'The Image of Saracens in travel literature', Coldnoon: Travel Poetics, *International Journal of Travel Writing* 4.1 (2015) Read this and other works at: http://www.coldnoon.com, pp. 138-140.

([2]) Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 210-211.

تلك الأوصاف المتناقضة وغيرها[١]، وهي أوصاف نتجت عن ارتباط الادعاءات الأوربية المُسيئة للإسلام والمسلمين بإثارة مشاعر الحماسة لدى الأوربيين ضد المسلمين والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لحث عامة أوربا وفرسانها وملوكها على المشاركة في الحملات الصليبية[٢].

ونال **مولده ونسبه صلى الله عليه وسلم** اهتمام المؤرخين الأوربيين على عصر الحروب الصليبية، وقد أشار غوتييه في قصيدته عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم *Otia Machometi* والتي وضعها في شارتر في الفترة من ١١٣٧ و١١٥٥م إلى طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه وُلد يتيمًا وبُعث إلى فارس والهند وإثيوبيا كي يترعرع ويصنع قدره. وقد انشغل غوتييه بالتركيز على بعض التفاصيل الغريبة والغامضة في طفولة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما تحدث عن رحلاته حول بلدان الشرق وفي مكة في محاولة من غوتييه لإرضاء الذوق الأوربي آنذاك الذي يميل إلى التسلية والخيال[٣].

وأردف توما توسي – في منتصف القرن الثاني عشر – أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان في خدمة الأرملة الغنية – السيدة خديجة رضي الله عنها – التي تزوجها بعدئذ، وأنه صلى الله عليه وسلم قد نجح في تحقيق الثراء بعد جولاته التجارية، وبات يعرف الكثير عن البلدان التي تردد عليها ووقف على عادات أهلها ومعتقداتهم المُختلفة[٤]. وتتضح

(١) يُشير *Sabbatini* إلى أن الدين الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يكن وثنيًا وإنما عقيدة تدعو إلى التوحيد، وأن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يعتقدون أنه رجل صالح وأنه ليس إلههم وإنما نبي أرسله الله إليهم، وتختلف صورته عن الصورة التي قدمها بعض اللاهوتيين المعاصرين لنوجنت، بيد أن صورتهم المُخالفة صارت الأكثر انتشارًا مع الدعوة للحملة الصليبية الأولى وذلك لأن وصف المسلمين بأنهم هراطقة - انشقوا عن المسيحية ربما على مذهب أريوس أو نسطوريوس لعدم قبولهم الخلاص والثالوث - لا يخدم الأيديولوجية الصليبية التي تحتاج إلى مبررات قوية لشن الحرب ضد المسلمين، ومن تم شيطنة الإسلام واتهام أتباعه بالوثنيين، وقد أكد نوجنت أنها تلفيقات لا أساس لها. انظر:

Sabbatini, *The Image of Saracens in travel literature*, pp. 139-140.

(٢) انظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص١٤٠؛ فولشر أوف شارتر: الوجود الصليبي، ص١٨٢. وأيضًا:

337-42; Kedar, *Itinerary of Richard I*, pp. 13-14, 269-76. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, pp. *Crusade and mission*, pp. 3-41; Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 208-209.

(3) Ed. E. du Meril, in *Poesies populaires latines du moyen age*, (Paris, 1847, 1977), pp. 369-415. Cf. also: Nicholas Morton, *Encountering Islam on the First Crusade*, Cambridge University Press (2016), p. 213; Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.118; Cambier, (G.), 'Quand Gautier de Compiegre composait les Otia de Machomete?', *Latomus* 17 (1958), pp. 531-9.

(4) Thomae Tusci, *Gesta imperatorum et pontificum*, *Monumenta Germaniae Historica: Series Scriptorum*, vol. 23, pp. 429–93. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.120.

الصبغة الخيالية التي أضفاها توما توسى على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما زعم أنه زار الهند وإثيوبيا والهند مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يزرها مطلقًا. وبالرغم من معالجة وليم الصوري لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وبعثته ونشره لدعوته في كتابه عن أمراء الشرق فإنه في عداد الكتب المفقودة[١] مما حرمنا من الوقوف على صورة مُهمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال مؤرخ لامع على شاكلة وليم الصوري بما امتلكه من آليات مثل ملكة النقد التي اتسم بها ودرايته بالعربية وامتلاكه للمصادر العربية.

وقدم متى الباريسي معلومات قليلة عن مولده ونشأته صلى الله عليه وسلم بقوله إنه بعد وفاة أبيه رعاه "...أبو طالب وقد صار وصيًا عليه ورباه، وكان رجلًا يرعى الأوثان في مكان اسمه الكعبة... وعندما وصل إلى سن الشباب أصبح يعمل لدى امرأة اسمها خديجة ابنة خويلد... وتصادق مع هذه المرآة وتزوجها...". وأشار متى الباريسي إلى نسبه صلى الله عليه وسلم[٢]، وهو وصف يُقارب وصف مصادر السيرة النبوية الأمر الذي يعني اطلاع "متى" عليها أو على مصادر أخرى اعتمدت عليها، وإن كان نقله انتقائيًا ليحقق له غرضه من التأريخ لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنه اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالانتهازي الباحث عن الثروة، ولأجل ذلك فإنه تزوج من السيدة خديجة – رضي الله عنها – لطمعه في مالها الذي سيساعده على التسامي على أهل مكة طمعًا في المُلك، غير أنه فشل في مساعيه بسبب مُعارضة من هم أكثر نبالة منه وقوة في الشخصية[٣].

ويتجلى السرد الانتقائي الذي تعمده متى الباريسي حينما نقل ما وافق ميوله ورفض ما دون ذلك[٤]؛ لحرصه على تقديم الإسلام إلى الأوربيين وفق نمط الكتابة السائد في أوربا في عصره في سعيه لتصوير دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها شر محض. وقد شغف الأوربيون في العصور الوسطى بتلك القصص المُغرقة في الخيال إزاء شخصية

([1]) William of Tyre, *A History of Deeds*, vol. 1, pp. 26- 7, 60-1.
ولا يستبعد الباحث اعتماد متى الباريسي على كتاب وليم الصوري في معالجته لملامح صورة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ذلك الكتاب الضائع لوليم الصوري.

([٢]) متى الباريسي: التاريخ الكبير، جـ٤٠، ق١، ص٢٥-٢٦.

([3]) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol III, p.345.

([٤]) محمد فوزي رحيل: "صورة الإسلام في التاريخ الكبير لمتى الباريسي"، مجلة التربية، قطر، عدد ١٧٥، مارس ٢٠١١م، ص٢٥٣-٢٥٤.

صُورت لهم بأنها تُعادي المسيح عليه السلام، علاوة على ما كانوا يجدونه في تلك القصص من تسلية وإثارة[١]. وليس أدل على المُغالطة التاريخية المُتعمدة لدى متى الباريسي حينما اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالطمع في المُلك من قيام أعيان مكة بعرض المُلك والمال على الرسول صلى الله عليه وسلم كي يتخلى عن دعوته[٢]، ولكنه صلى الله عليه وسلم رفض كل مغرياتهم وعروضهم، وتحمل في سبيل نشر دعوته كافة العقبات التي وضعوها في طريقه.

واتخذ بعض مؤرخي أوربا من **الزواج لدى المسلمين** مدخلًا تطرقوا من خلاله إلى زواج الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أكدت دانا مونرو *Dana Munro* أن تشريع تعدد الزوجات في الإسلام أسهم في اتهام المسلمين بالإنغماس في الملذات والتحلل الأخلاقي[٣]، وقد ظهر هذا التوجه في إشارة جوتفريد – مُؤرخ فريديك الأول بربروسا إلى زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من سبعة عشر زوجة بخلاف محظياته الكثيرات، وركز على قصة زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش زوجة زيد – ولد الرسول صلى الله عليه وسلم بالتبني، مُدعيًا وقوع الرسول صلى الله عليه وسلم في حبها ولذا فإنه صلى الله عليه وسلم جعل ولده يُطلقها كي يتزوج منها[٤]. وقد فضل أباء الكنيسة وغيرهم من المؤرخين هذا الموضوع وتداولوه بكثير من التفسيرات المغلوطة، وطاب لهم وصف الإسلام بأنه دين الملذات الجسدية والانحرافات الخُلقية، وجاء وصفهم لمفهوم الجنة والنعيم لدى المسلمين مؤكدًا لهذا التوجه حينما أكدوا ارتباط الجنة في المخيلة الإسلامية بكثير من الوعود التي وعد بها الرسول صلى الله عليه وسلم أتباعه كي يجذبهم إلى الإسلام من خلال تشويقهم إلى ما في الجنة من ملذات جسدية كثيرة[٥].

([1]) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 122-4.
وأيضًا: عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص٢٤-٢٥.
([٢]) انظر: ابن هشام: سيرة ابن هشام، جـ١، ص٤٢٧٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٣، ص٤٢.
([3]) Munro, *The Western Attitude*, p.331.
([4]) Gotfredi Viterbiensis Pantheon, *Monumenta Germanica Historia: Series Scriptorum*, vol. 22, p. 280.
([5]) *Chronographia et Anastasii Bibliothecarii, Historia Ecclesiastica sive Chronographia tripartita*, ed. C. De Boer (Leipzig, 1885), vol. 2, p. 209. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.121.

وفسر متى الباريسي وغيره من المُنطلق ذاته تعدد الزوجات لدى الرسول صلى الله عليه وسلم سواء من الحرائر أم من الإماء تفسيرًا مغلوطًا، وتجنب الابتعاد به عن سياقه وظروف عصره والأسباب الحقيقية لزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منهن(١)، ولأجل ذلك ذهب متى الباريسي إلى أن أصحابه صلى الله عليه وسلم كانوا يُوارون زوجاتهم عنه حتى لا يطمع فيهن، وهو زعم خالي من الصواب تمامًا وانتُزع من سياقه التشريعي والتاريخي. وخلط متى الباريسي بين حادثي الإفك وبين زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها(٢)، وادَّعى طمع الرسول صلى الله عليه وسلم في زوجة زيد بن حارثة، وأن عليًا – كرم الله وجهه – قد لامه على ذلك التصرف(٣). وقد لاقت تلك

(١) سعى بعض المؤرخين الأوربيين ونتيجة لتعدد الزوجات لدى المسلمين إلى تصوير أوضاع زواجهم بصورة طغى عليها البلبلة والخلط والتناقض؛ فبالغ روجر أوف ويندوفر في وصف رجل يُدعى سيف الدين بأنه تزوج من خمس عشرة زوجة، وأنه لديه العدد نفسه من الورثة، وأنه اعتاد النوم معهن كل واحدة بدورها، "...وإذا كانت إحداهن حاملًا كان ينام معها بحضور البقية جميعًا، وعندما تموت إحدى هؤلاء الخمس عشرة كان يأتي بواحدة جديدة محلها، وذلك حسبما عادة شريعتهم...". بينما جاء وصف متى الباريسي لشريعة تعدد الزوجات لدى المسلمين منطقيًا حينما أوضح أن من حق المسلم أن يجمع بين ثلاث أو أربع نساء، بجانب عدد غير محدود من الجواري، ثم عقد "متى" مُقارنة بين عقيدة الزواج عند المسلمين وعقيدة الزواج عند المسيحيين وخلص إلى أن الرب سوف يُعاقب من بدأ بتعدد الزوجات، وأنكر على المسلمين الطلاق في حالة استحالة العشرة مثلما أستنكر عدم وجود قاعدة للمهور في الإسلام. وذهب بوركهارد إلى أن المسلمين يتخذون عددًا كبيرًا من الزوجات وأنهم يترددون على مواخير الرذيلة في صورة كلها تناقض ومغالطة؛ لأن إباحة التعدد ينتفي معها الحاجة إلى التردد على بيوت الرذيلة.

وفي الوقت الذي ذهبت فيه دانا مونرو إلى أن تعدد الزوجات لدى المسلمين كان سببًا في اتهامهم ورسولهم صلى الله عليه وسلم بالتحلل الأخلاقي لجذب الناس إلى الدخول في الإسلام فإن أرمسترونج اتخذت موقفًا مُغايرًا فسرت من خلاله تلك الرؤية الأوربية المغلوطة في ضوء الكبت الجنسي لدى الأوربيين أنفسهم، ورأت أن الكنيسة منعت زواج رجال الدين بالرغم من رغبتهم في ذلك، ومن هذا المنطلق رأت أن رؤية الأوربيين عن تعدد الزواج لدى المسلمين جاءت انعكاسًا لما يعانيه رجال الدين الأوربيين من كبت أكثر مما يتعلق بأية حقائق عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبخاصة أن أغلب الكُتاب والمُؤرخين كانوا من رجال الكنيسة آنذاك ونظروا إلى الإسلام نظرة مغلوطة ووصفوه بأنه دين المُتعة والإباحة والتحلل. انظر: روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، (جـ٢)، جـ٣٩، ص٤٠٤-٤٠٥؛ بيير دوبوا: استرداد الأرض المقدسة، ترجمة: سهيل زكار (الموسوعة الشامية، جـ٣٦، ق١، دمشق، ١٩٩٩م)، ص١٤٦-١٤٩، ١٥٥-١٥٩، ١٧١-١٧٤؛ مارينو سانوتو: كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب، ترجمة: سهيل زكار (الموسوعة الشامية، جـ٣٦، دمشق، ١٩٩٩م، ص١٥. وأيضًا: أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٤١-٤٢. وأيضًا:
Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, p. 103; Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol III, p. 355. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, p.331.

(٢) تعود جذور هذه القضية إلى كتابات يوحنا الدمشقي أحد أبرز الذين وظفوا الجدل البيزنطي لتشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال الحديث عن هذا الزواج، وبالرغم من دراية يوحنا الدمشقي بالعربية فإنه لم يعتمد على القرآن وإنما على أحد الروايات الشفوية على ما رجح طارق منصور، وقد توارث المؤرخون البيزنطيون آراء يوحنا الدمشقي ولا شك أنها وجدت طريقها من بيزنطة إلى غرب أوربا. انظر:
Tarek M. Muhammad, *The Byzantine Theologians*, pp.140-5.

(3) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p.348. Cf. also: English History, vol. 1, p.18.

القصة – البيزنطية الأصل – قبولًا واسعًا لدى آباء الكنيسة ومن بينهم جوتفريد[١]، وغير ذلك من التلفيق الذي ساقه متى الباريسي لحبك قصته زيفًا ليدلل باطلًا على أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم منهن كان حبًا في النساء ولعوامل جسدية مُتجاهلًا تمامًا الأغراض التشريعية والاجتماعية والاقتصادية الأخرى التي وقفت وراء تلك الزيجات، وبالرغم من إشارة بوركهارد إلى تعدد الزوجات لدى المسلمين[٢] فإنه لم يعلق عليها ولم يُلفق ما لفقه متى الباريسي.

وذهب "متى" في طرحه لهذه الإشكالية إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ادعى تنفيذه للأمر الإلهي كي يُبرر موقفه أمام أتباعه "...جاءه أمر من السماء بأن الرب قد أمره أن يبلغ الناس بتشريع، بأنه إذا قام الرجل بطلاق زوجته، وأخذها رجل آخر إلى نفسه، يجب أن تتزوج الرجل الذي أخذها، وحتى هذا اليوم هذا التشريع شائع بين المسلمين..."[٣]، وهو كلام مُنافي للعقل والمنطق والواقع التاريخي، وتأثر إلى حد كبير بما ذهب إليه بعض مؤرخي الحقبة البيزنطية وفي صدارتهم يوحنا الدمشقي الذي وضع روايته بناء على روايات شفهية وليس على القرآن كما زعم[٤]. وقد وردت نقول متى الباريسي في صورة انتقائية إمعانًا منه في تشويه صورته صلى الله عليه وسلم، وذلك على الرغم من أنه صلى الله عليه وسلم عُرف بالعفة في مجتمع انتشرت به بيوت الرذيلة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُفاخر بأنه ابن نكاح وليس سفاح، وما تزوج من بكر إلا السيدة عائشة رضي الله عنها، وأما باقي زوجاته رضوان الله عليهن – بعد وفاة السيدة خديجة – كن ثيبات ومن كبار السن، وتزوج

([1]) Gotfredi Viterbiensis Pantheon, *Monumenta Germanica Historia*, vol. 22, p. 280. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.121.

رأى متى الباريسي في مفهوم النعيم الأرضي لدى المسلمين صورة تفوق مفهوم النعيم لدى المسيحيين الأوربيين والذي اتسم بالزهد والغموض، ورأى أن النعيم الإسلامي وعد المسلمين باللبن والعسل دلالة على وفرة الأغذية الغنية علاوة على الحور العين وما إلى ذلك، وقد وظف متى الباريسي ذلك المفهوم لاظهار التساهل والتحلل الأخلاقي لدى المسلمين في مواجهة الزهد والعفة لدى الأوربيين المسيحيين. انظر:

Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, pp. 345-348. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.123-124.

([2]) Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, p. 103.

وأيضًا: عز العرب سليمان: بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوروكهارد، ص١٩٢-١٩٥.

([3]) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol III, p. 355.

([٤]) انظر:

Tarek M. Muhammad, *The Byzantine Theologians*, pp.140-145.

بهن بعدما تجاوز الخمسين عامًا مما ينتفي معه العامل الجسدي، وعلاوة على ذلك فإنه يؤكد حجم التدليس والتلفيق لدى متى الباريسي وغيره بهدف تشويه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم(١).

وأما صورتهم عن **بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم** وعلاقة رسالته بالسماء فقد غلب عليها السطحية والخلط والتناقض إلى حد يصعب معه الوقوف على صورة واحدة لدى غالبية من أرخ لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته من مؤرخي أوربا سواء بوصف الإسلام بأنه هرطقة مسيحية أم وثنية أم بالخلط بين هذا وذاك أم بوصف الإسلام كدين سماوي. ويرجع وصف بعضهم للإسلام بأنه هرطقة مسيحية إلى تطور القصة التي تداولتها العقلية الأوربية على عصر الحروب الصليبية عن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقته بالراهب المنشق الذي قرر الانتقام من الكنيسة لعدم بلوغه مآربه في مناصبها وذلك بمساعدته للرسول صلى الله عليه وسلم في ادعاء النبوة(٢).

وتُعد هذه الصورة المغلوطة إمتدادًا للصورة التي رسختها حوليات ما قبل القرن الثاني عشر في الوجدان الشعبي، ومفادها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أداة طيعة في أيدي المُهرطقين المسيحيين الذين خرجوا على الكنيسة، وأنه صلى الله عليه وسلم دعا إلى مذهب ديني جديد انسلخ عن المسيحية للتحريض ضد الكنيسة، وقد أولت الأوساط الكنسية جل اهتمامها لتلك الأفكار وروجت لها(٣). وقد ووردت تلك الصورة لدى جيوبرت أوف نوجنت ولكن بتفاصيل مُختلفة غلب عليها الشطط ومفادها أنه حينما مات بطريرك الإسكندرية فقد سعى أحد الرهبان إلى اعتلاء منصبه خلفًا له ولكنه فشل في مساعيه وطُرد من الكنيسة، فوسّوس له الشيطان بأن يُعلن بأنه السيد المسيح عليه السلام، فتزوج الراهب المذكور من أرملة غنية اسمها خديجة – رضي الله عنها – وأعلن أنه رسول الله(٤).

---

(١) محمد فوزي رحيل: صورة الإسلام، ص٢٥٧.

(٢) للوقوف على أهم ملامح الخلط والتداخل المتعلقة ببعثة الرسول ودعوته وأهم جذور الأفكار التي تداولتها العقلية الأوربية وأثر الفكر البيزنطي فيها انظر:

Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 115-26.

(3) Tolan, J., 'Anti-Hagiography: Embrico of Mainz's Vita Mahumeti', *Journal of Medieval History*, 22 (1996), pp. 25-41; Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.118.

(4) *The Deeds of God through the Franks*, translated by Robert Levine, on http://onlinebooks.library.upenn.edu.

بينما رأى بطرس المُبجل أن الإسلام لم يخرج عن كونه مجرد هرطقة مسيحية على اعتبار أن سرجيوس هو ذاته بحيرى وأنه نسطوري المذهب. وأكد بطرس أن الراهب المنشق رحل إلى الجزيرة العربية، وهناك التقى بالرسول صلى الله عليه وسلم ولقنه بكل ما كان ينقصه من معرفة عن تعاليم العهدين القديم والجديد على التفسير النسطوري الذي لا يعترف بإلوهية السيد المسيح عليه السلام(١). وبذا وصف بطرس المبجل الرسول صلى الله عليه وسلم بالمُهرطق وفقًا للمنظور الأوربي الكاثوليكي.

وتتشابه الصورة التي قدمها بطرس المبجل مع ما قدمه توما توسي عن تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم المسيحية على يد الراهب النسطوري المُهرطق، مُستعيرًا النموذج البيزنطي عن الموضوع ذاته، وأكد أن العقيدة الإسلامية ليست سوى خليط من العهدين القديم والجديد إضافة إلى بعض القصص الأخرى التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، كما أشار توما توسي إلى إستعارة الرسول صلى الله عليه وسلم لفكرة الحمامة التي تهدل في أذنه من مفهوم الروح القدس في المسيحية(٢).

أما يعقوب الفيتري – مُؤرخ الحملة الصليبية الخامسة – فادَّعى أن اسم الرسول صلى الله عليه وسلم هو سوسيو وهو قسيس أدانه البابا الروماني بتهمة الهرطقة وتم نفيه إلى الجزيرة العربية وهناك انتقم من خصومه بادعاء النبوة، واستمد تعاليمه من العهدين القديم والجديد وأضاف إليهما ما وسوس له به الشيطان(٣). بينما نسب فانسان دي بوفيه(٤)

---

(1) Peter the Venerable, *Summa totius haeresis Saracenorum*, in Peter the Venerable and Islam, ed. & trans. J. Kritzeck, Princeton, 1964.

(2) Thomae Tusci, *Gesta imperatorum*, vol. 23, pp. 429–93. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.120.

(3) James of Vitry, *Lettres*, pp. 79-97, no. 2; Hoyland, R.G, *Seeing Islam as others saw it, A survey and evaluation, of Christian, Jewish and Zoroastrian writings on early Islam*, (Princeton, 1997), pp. 515-16; Wolf, K.B. 'The earliest Latin lives of Muhammad', in M. Gervers and R. Bikhazi (eds.), *Conversion and continuity. Indigenous Christian communities in Islamic lands, eighth to eighteenth centuries*, (Toronto, 1990), pp. 89-101.

وقد أشار الله عز وجل في كتابه العزيز إلى تلك الإشكالية في قوله تعالى: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ" (سورة النحل، آية ١٠٣م) في إشارة فيها إعجاز وقاطعة الطريق على من يدعون أن القرآن مأخوذ عن العهدين القديم والجديد بدعوى أن رجلًا أعجميًا علم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن؛ لأن القرآن كتاب عربي غاية في البيان والبلاغة، ولأجله فإنه لا صحة لمن يدعون ذلك الافتراء بأن رجلًا أعجميًا لا يتقن أبجديات البلاغة والفصاحة علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما عرفه وعلمه.

(٤) هو أحد رهبان دير دي بوفييه وربطته علاقة وطيدة بالملك لويس التاسع *Louis IX of France* وكان له اهتمام خاص بالإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، وله كتاب يُدعى المرايا من أربعة أجزاء، وقد عالج في الجزء الأخير من كتابه تاريخ العالم حتى عام ١٢٤٤، ثم أمده فانسان بعدئذ إلى عام ١٢٥٣م ثم امتد فيما بعد وفاته على أيدي آخرين. انظر: عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص٢٤-٢٥. وأيضًا:

Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 124-6.

إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مهارة فن تحضير الأرواح من خلال إجادته للسحر الأسود، وربط بينها وبين نوبات الصرع المتتابعة التي زعم أنه صلى الله عليه وسلم كان يُعاني منها، واستغل دي بوفييه الفترة الأولى من نزول الوحي لسربلتها بتصوره الخاطيء[١]، ووافقه متى الباريسي في تصوره ورأى أن نوبات الصرع كانت عقابًا له صلى الله عليه وسلم على ادعاء النبوة[٢].

وقد تشابهت صورة متى الباريسي عن الرسول صلى الله عليه وسلم مع المفهوم المُتداول في الأوساط الكنسية عن مُعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسيح عليه السلام[٣]. كما أشار دي بوفييه إلى قصة البقرة وأوعية الحليب والعسل واليمامة المُروضة التي زعموا أنها كانت تهدل في أذن الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة على اتصاله بالروح القدس وتلقيه الوحي، وتطرق كغيره إلى قصة الراهب سرجيوس الذي فسق في ديره مما أدى إلى حرمانه وطرده، فرحل إلى الجزيرة العربية التي يعيش فيها اليهود وأمم أخرى تعبد الأصنام والأوثان، وهناك قابل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يعبد الأصنام فعمل على تنصيره كي يُرضي رهبان ديره ويعود إلى مكانته فيه.

وبذا جعل دي بوفييه من الرسول صلى الله عليه وسلم تلميذًا للراهب النسطوري المُنشق وأن اسمه *Mahomet*، وزعم أنه تعلم من سرجيوس تعاليم العهدين، وحينما خشي اليهود من اكتشافه للمسيحية الحقة فإنهم دسوا عليه أتباعًا آخرين لتعليمه المذهب الجديد أي الإسلام، حيث أضاف اليهود إلى القرآن عدة تعديلات وحذفوا منه بعض النصوص[٤]، ثم

---

(١) أضاف متى الباريسي أن الرسول صلى الله عليه وسلم اغتصب لقب النبوة، وعقابًا له فقد أصابه الرب بمرض الصرع، وزعم أنه كثيرًا ما سقط على الأرض على غرار من يعانون من الصرع، وأردف "متى" أن هذا الصرع هو ما جعل السيدة خديجة تتحسر على قبوله زوجًا لها، ولذا فإنها هرعت إلى الراهب بحيرى الذي زين الزواج من الرسول صلى الله عليه وسلم ولامته على هذه الزيجة، فأقنعها بأن تلك الأعراض من علامات النبوة وذلك لأن الجسد البشري يعجز عن تحمل وطأة الملك الموكل بالوحي، ومن هنا تحول غضب السيدة خديجة إلى سرور لأنها أصبحت زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم. وفي رواية متى الباريسي محاولات جلية ليرفع عنه صلى الله عليه وسلم صفة النبوة. انظر: متى الباريسي: التاريخ الكبير، ص٢٣-٢٦ وأيضًا: محمد رحيل: التاريخ الكبير، ص٢٥٦-٢٥٧. وأيضًا:
Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p.348; Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.124.

(2) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p.345.

(٣) لا صحة لهذه المزاعم على الإطلاق وبخاصة أن الإيمان بكل الرسل السابقين جزء من عقيدة المسلم على ما جاء في سورة البقرة: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". سورة البقرة، آية ٢٨٥.

(4) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.121-6.

ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس في الثلاثين من عمره وأعلن أنه المسيح *Messiah* الذي ينتظره اليهود. وقد أنكر دي بوفييه نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم واتهمه بالكذب والمخاتلة ومعاداة المسيح عليه السلام(١)، ولا شك في أنه تأثر بالرواية البيزنطية عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، علاوة على تعمده سرد الموضوعات المُغرقة في الخيال والطابع الشعبي وقصص الخوارق والمُعجزات بما يُرضي الذوق الأوربي في العصور الوسطى(٢).

وربط وليم الطرابلسي أيضًا بين الراهب بحيرى *Bahira* والرسول صلى الله عليه وسلم (*Machometus*) في أن بحيرى تنبأ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يمر بصومعته أو ديره، وأن الكنيسة سوف تهتم به، ووُصف له بأنه غلام فقير يتيم، وحينما دخل من الدير فقد ارتفع بابه فاستقبله بحيرى بكل ود وزوده بالطعام وحقّر له عبادة الأصنام وجعله يبتهل بقلبه إلى السيد المسيح عليه السلام، ثم غادر الدير مع سيده التاجر ولكنه وعد بُحيرى بالعودة حينما يكبر. وقد مارس ذلك الغلام التجارة وبرع فيها، وحين مات سيده تزوج من أرملته وصار يتردد على الدير، وكان له عشرة من أصحابه تضايقوا كثيرًا من علاقته بالراهب بحيرى وقرروا قتله ولكنهم خافوا من الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم قتلوه فيما بعد وبرروا فعلتهم بأن ثمالتهم هي التي جعلتهم يفعلون ذلك عن غير عمد. ولأجل ذلك – ووفقًا لإشارة وليم الطرابلسي – حرَّم الرسول صلى الله عليه وسلم على أتباعه الخمر، بينما راح رفاقه يسلبون البلاد ويقتلون العباد وظلوا على ذلك حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم(٣).

وقد تأثرت الروايات التي وضعها هؤلاء عن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوته بالرواية البيزنطية عن العلاقة التي ربطت الرسول صلى الله عليه وسلم بالراهب المنشق، وسعت إلى تصوير الإسلام كبدعة منسلخة عن المسيحية، وصيغت تلك الرؤية في

(1)Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 125-6.

وأيضًا: عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص٢٤-٢٥.

(2) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.125.

(3) Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo*, pp.75-81, 88-90, 108-10, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 474-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438.

قالب التراث الكنسي المُغرق في الأسطورية تلبية للعقلية القروسيطة التي شُغفت بالمعجزات والخوارق. ولإسباغ بعض الواقعية على تلك القصص المُغرقة في الخيال فقد ربط بعض المؤرخين الأوربيين بين أحداث من واقع السيرة النبوية والمُتعلقة بالمعجزات وبين تعليلها بتصورات غير واقعية كي تُؤكد رؤيتهم المُلفقة لها، مثل تبرير كُره المسلمين للخنازير وتحريمهم أكلها لارتباطها في مخيلتهم بقصة مختلقة وموضوعة رددها بعضهم في معالجتهم لوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فضلًا عن ربطهم تحريم الخمر لدى المسلمين بقصة أخرى مُلفقة اتهمت أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل بحيرى – أو سرجيوس – في أثناء ثمالتهم(١).

ويُلحظ أيضًا وجود خلط كبير بين اسم الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اسم الراهب وبين الادعاء بأن الشخصين واحد، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذاته الراهب المُنشق الذي علمه ما ادعاه فيما بعد، فضلًا عن عدم اتفاقهم على اسم واحد للراهب – سواء بحيرى أم سرجيوس أم سوسيو أم *Machometus* – أو للرسول صلى الله عليه وسلم خصوصًا حينما ربطوا بينه وبين الراهب المُنشق(٢). ويُشير ميندورف *John Meyendorff* إلى أن كافة تلك الرُؤى التي وصفت الإسلام بأنه مجرد هرطقة أو بدعة مسيحية تعود إلى آراء يوحنا الدمشقي ونقيتاس البيزنطي وأنستاسيوس ونقيتاس خونياتس، وهو التوجه ذاته الذي وصف القرآن بأنه مأخوذ من العهدين بالرغم من تأكيد ميندورف أن يوحنا الدمشقي لم يعتمد على القرآن في كثير من القضايا التي تحدث فيها عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم(٣). أما تعلمه على يد الراهب فاتهام فيه مُغالطة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يزر ذلك الدير سوى مرة واحدة وهو في الثانية عشر من عمره، ولم يكن يعرف القراءة والكتابة ويستحيل في هذا السن أن يتعلم من بحيرى الراهب مباديء دين جديد في لقاء واحد.

---

(1) *Itinerary of Richard I*, p. 260.
وأيضًا: جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (١)، ص١٢٠٥.

(٢) تطورت تلك الاختلافاتٍ والالتباساتٍ والأساطير وتعددت، وتغيرت الأسماءُ والأجزاء من أسطورة إلى أخرى، وتمثل مكمن الخطورة في أن كثيرًا من المسيحيين الأوربيين آنذاك كانوا يحكون تلك القصص والخرافات كأنها حَدَثٌ مؤكَد. انظر: سوذرن: صورة الإسلام، ص٧٥-٩٠.

(3) Meyendorff, *Byzantine Views of Islam*, p. 119.

وفي الوقت الذي وُصِفَ فيه الإسلام بأنه بدعة أو هرطقة منشقة عن المسيحية فقد وَصفَه بعض المؤرخين الآخرين بأنه وثنية مع ما ارتبط بمفهوم الوثنية في التراث المسيحي الباكر من شر محض على ما ذهبت *Luchitskaja*(١). وقد أشار المؤرخ المجهول إلى أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت دعوة وثنية، واتهم المسلمين بعبادة الأصنام والأوثان(٢)، ولم يخرج وصف فولشر أوف شارتر عن وصف المسلمين بالوثنيين كلما تعرض لهم(٣)، وشاركه بطرس توديبود رأيه في وصف المسلمين بالوثنيين وإن كان قد خلط في مواضع أخرى بين وصفهم بالوثنية والهرطقة، وأضاف توديبود أن المسلمين يعبدون رسولهم مع آلهة أخرى تأكيدًا لاتهامه لهم بالوثنيين(٤)، كما اتهم ألبرت أوف آخن المسلمين بالوثنيين عدة مرات(٥).

وذهب متى الباريسي إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن مُدعمًا من السماء سواء في هزائمه أو في الجروح والطعنات التي أصابته بل وفي حادث الشاة المسمومة في بيت اليهودية، وخلص من ذلك إلى وجهة نظر قد تبدو للجاهل مُحكمة مفادها أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان مبعوثًا من قبل الله لبعث الله إليه ملاكًا من السماء ولسانده بالمعجزات. وبالرغم من إشارة متى الباريسي إلى بعض تلك المعجزات فإنه أوردها ليُحقّر من شأنها ولوصفها بالسطحية والسذاجة، وهذا يعني أن متى الباريسي الذي طالب بالمعجزات المُؤيدة لنبوته صلى الله عليه وسلم في مواقف معينة فإنه رفضها في مواقف أخرى حينما توفرت له رفضًا للحقيقة وإنكارًا لها.

---

(١) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p. 121.

(٢) Anonymi, *Gesta Francorum et Aliourm Hierosolymitanorum* (ed.) by Roslaind Hill, as the Deeds of the Francs and the Other Pilgrims to Jerusalem, (London, 1962).

وقد اعتمدت على الترجمة العربية التي أعدها الدكتور حسن حبشي. انظر: المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢٥-٤٠، ٤٦-٨٦. ويرى هاملتون أن المؤرخ المجهول كان يظن أن الأتراك مثل بقية المسلمين في المنطقة العربية الإسلامية يعتنقون المسيحية ثم تحولوا إلى الإسلام. انظر:

Hamilton, *Western Understanding of Islam*, pp. 380-81.

(٣) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣١، ١٣٣، ١٥٤، ١٩٥-١٩٥، ٢٥٧-٢٥٨، ٢٧٣، ٢٧٧-٢٧٨.

(٤) بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص١١٢-١١٥، ١٣٨، ١٨٥، ٢٣١،٢٢٤-٢٤٠، ٣١٥-٣١٩، ٣٤٠، ٣٤١. وأيضًا: طارق منصور: صورة الإسلام، ص١٩-٦٩.

(٥) ألبرت أوف آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ترجمة: سهيل زكار، (الموسوعة الشامية، جـ٥١، دمشق، ٢٠٠٧م)، ص٣٨، ٤٤، ٥٠، ٥٢، ٨١، ١٠٤، ١٤٠، ١٦١، ١٦٥، ٢٥٦، ٢٨٧.

وقد برر متى الباريسي وثنية الإسلام واضعًا في اعتباره البيئة التي نشأ فيه الرسول صلى الله عليه وسلم والتي غلب عليها عبادة الأوثان. ونظرًا لأن متى الباريسي وغيره كانوا يسعون إلى إثبات بطلان تلك العقيدة فإنهم هاجموا مُؤسسها واتهموه بالكذب وساقوا عنه معجزات مُغرفة في الكذب والتضليل، وأن تلك المعجزات الكاذبة – من المنظور الكنسي – ليست سوى أفكار مُضللة وكاذبة، مما يعني أن متى الباريسي ومن على شاكلته وظفوا رؤيتهم لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة تُؤيد فكرة بطلان الإسلام ذاته[١]. والواقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يدع إطلاعه على الغيب وإلا لناقض ما نزل في القرآن الكريم[٢] وإنما كان يتصرف ببشريته ويأخذ بأسباب النجاح[٣].

ورأى "سابتاني" أن وصف المسلمين بالوثنية اقترن بالدعوة لشن الحملة الصليبية الأولى ضد المسلمين بسبب سعي البابوية إلى تبرير شن الحملة ضد المسلمين؛ فلطالما أعلنت البابوية أن فرسان أوربا أصبحوا شهداء المسيح عليه السلام وحُماة قبره فقد تعين على المسلمين أن يُقتلوا لتخليص الأماكن المقدسة من دنسهم، ومن ثم فإن المُخالفة الدينية –

([1]) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p. 122.

ترى *Luchitskaja* أن المعجزات المعروفة عن الرسول قليلة للغاية مُقارنة بالمعجزات الأوربية المُغرقة في الخيال، والتي كان لها دور في تغييب الوعي الأوربي في القرون الوسطى، بيد أن أهم معجزة من وجهة نظرها لدى المسلمين هي الوحي والقرآن الكريم، وبالرغم من ذلك فقد صور العقل الأوربي الوسيط الإسلام بصفته عالم من السحر والمعجزات الأكثر غرابة على الإطلاق خلافًا للواقع. انظر:

Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.123.

قدم دي بوفييه رؤية شبيهة برؤية متى الباريسي حينما أكد أن المسلمين يعبدون الزهرة *Venus*، وفي ذلك اتهام للمسلمين بالوثنية، وقد رأى أن الإسلام المُعادي للمسيحية هو بمثابة عالم للمعجزات والغموض، وهو دين يجري فيه كل شيء على النقيض بحيث يسمح للمسلمين بالحج تقربًا إلى الله ولكنه لا يمنعهم من التعبد للأوثان في أماكن الحج في الوقت عينه. وقدم فلكس فابري – المتأخر زمنيًا - عن معجزتي الإسراء والمعراج وصفًا مشابهًا لوصف متى الباريسي وينم عن وقوفه على أحد كتب السيرة وليس على القرآن كما يزعم، وبالرغم من هذا امتزج وصفه للرحلة بكثير من المغالطة والتناقضات الفجة والأخطاء المُتعمدة والمُلفقة، مثل مُبالغته في تقدير عدد أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة من وجوده في مكة، فضلًا عن أن مصدره الذي يُسمى حصن الإيمان الذي نسب إليه غالبية روايته على الأرجح غير عربي لأن مصادر السيرة النبوية معروفة، وهي التي قدمت تفاصيل كثيرة عن الإسراء والمعراج بينما جاء ذكرها في القرآن دون إسهاب.، وقد جاء في قوله تعالى عن الإسراء والمعراج في أول سورة الإسراء: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ". (سورة الإسراء، آية ١). انظر: جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (١)، ص١٣٢٧-١٣٢٨. وأيضًا:

Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p. 125.

([٢]) جاء في قوله تعالى: "قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ". سورة الأعراف، أية ١٨٨.

([٣]) محمد رحيل: صورة الإسلام، ص٢٥٦.

وليس المذهبية المنبثقة عن وصف المسلمين بالمهرطقين – ستوفر غطاء جيدًا ومُبررًا مقبولًا لتحقيق الغرض الذي تسعى إليه البابوية[١].

وقد عالجت دانا مونرو الأسباب التي جعلت الصليبيين لا يفهمون أن الإسلام دين سماوي وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مُرسل من قبل الله عز وجل وليس معبود المسلمين على زعم بعضهم. ومما ساقته مونرو تعليلًا لذلك كثرة الدعاية المُسيئة للإسلام في بعض المصادر الأوربية[٢] خصوصًا ما ورد في أنشودة رولان من أن المسلمين لا يحبون الله ويعبدون إلهًا وثنيًا يُدعى أبوللو[٣]، ثم تعزز اعتقاد وثنية المسلمين وعبادتهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم في عدة مصادر أوربية لاحقة – وما زال الكلام لمونرو – منها تاريخ شارل العظيم وأورلاندو في حديثهما عن وثنية المسلمين في الأندلس، ثم تصاعدت الدعاية المُغرضة بتواتر رواية المُشاركين في الحملة الصليبية الأولى، وكان من بين ما تواتر بينهم أن المسلمين يملكون تمثالًا فضيًا كبيرًا لرسولهم صلى الله عليه وسلم[٤].

أما خلفية امتلاك المسلمين تمثالًا أو صنمًا لرسولهم صلى الله عليه وسلم فنابعة من اعتقاد الصليبيين أن غيرهم من أصحاب البدع والهرطقات غير المسيحية يملكون تمثالًا،

([1]) Sabbatini, *The Image of Saracens in travel literature*, pp. 139-140.

([٢]) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص٧٧-١٥٢؛ ابن الأثير: الكامل، جـ١٠، ص٢٨١-٤٧٠. وأيضًا:
Peter Tudebode, *Historia de Herosolymitano ltinere*, Eng. Trans. Hill (J.H) & Hill (L.L), (Philadephia), 1974; William of Tyre, *A History of Deeds*, vo. I, pp. 361-78. Cf. also: King, E. J., *The Knights Hospitallers in the Holy Land*, (London, Methuen, 1931), p. 128; *Annales de Terre Saint*, in AOL., tome II, (Paris, 1884), pp. 429-30.

([٣]) رسمت أنشودة رولان صورة للمسلمين في غرب أوربا وصفتهم فيها بالهراطقة، أو أنهم يتعبدون إلى آلهة وثنية حينما صورت بعض المسلمين وهم يركعون أمام أبوللو *Apollin* وتيرفاجان *Tervagant* ومحمد *Mahomet*، ومن ثم فإنهم جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم واحدًا من ضمن آلهة المسلمين حيث يرد اسمه فيها على نحو: "ماهوند Mahond، وقد أثرت تلك الصورة في الأوربيين كثيرًا وأثارت حماستهم لمقاتلة المسلمين والقضاء عليهم، أو السعي إلى خلاصهم بتنصيرهم باعتبارهم وثنيين، وتلك من أهم ما أثّر على الصورة التي رسمتها المخيلة الأوربية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت الأندلس مصدرًا لها. انظر:
The Song of Roland, trans. by Sayers, D.L., Penguin Books, (1970), pp.8-40. Cf. also: France, J., 'The first Crusade and Islam', *The Muslim. LXVII* (1977), pp. 247-57; Meredith, C., 'The traditional Saracen of the songs of Geste', *Speculum*, XVII (1942). pp. 201-25; Hamilton, *Western Understanding of Islam*, pp. 375-6.

([4]) Munro, *The Western Attitude*, pp.331-5.

وعن رواية المؤرخ المجهول انظر: المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة، ص٧١-٩٦. وأيضًا: توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص٢٢٤-٢٣٢. وعن قصة التمثال المزعوم والمنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم انظر:
Roger of Wendover, *Flowers of History*, II, p.72.
وأيضًا: أسرة بلانتجنت، جـ٣٠، ص٢١١؛ امبرويز: صليبية ريتشارد، جـ٣٢، ص٢٢٧.

كاعتقادهم في امتلاك الدروز عجلًا ذهبيًا على ما أشارت مونرو[١]. وقد أشار فولشر أوف شارتر إلى أن المسلمين كانوا يمتلكون صنمًا في بيت المقدس قبيل دخول الحملة الصليبية الأولى للمدينة، وأنهم إجمالًا يُمارسون عبادة الأصنام مع خرافات أخرى[٢]. وأشار الرحالة فون سواكيم *Ludolph von Suchem* إلى قيام المُسلمين برسم صور جدارية للرسول صلى الله عليه وسلم على واجهات بعض المساجد، وأن بعض المُسلمين يقومون بتفسير تلك الصور للزوار "... واعتادت المُسلمة العجوز التي تُدعى ياقوتة على أيام وجودي في الشرق على شرح تلك الصور للمسيحيين بتقوى وورع... وأكدت العجوز أن الصورة المُنسوبة إلى يواكيم ليست سوى صورة لمحمد – صلى الله عليه وسلم... وتراها تقص والدموع في مقلتيها قصصًا أخرى متنوعة خلطتها بالمعجزات حول – محمد صلى الله عليه وسلم..."[٣].

ويُلحظ مما سبق أن الصليبيين أسقطوا توقيرهم للأيقونات والرفات والمُتعلقات المُقدسة بما لها من مدلولات مادية وروحية لديهم[٤] على ما يُمارسه المسلمون وبخاصة ما ورد في قصة التابوت المُعلق بين السماء والأرض الذي نسِبَوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، علاوة على الصورة الجدارية المزعومة والربط بينها وبين الموروث لدى الأوربيين عن تابوت العهد لدى بني إسرائيل[٥]. ويُلحظ أيضًا وجود فرق بين التمثال الذي زعموا تعبُّد الرسول صلى الله عليه وسلم له وبين التمثال أو الوثن الذي اختلقه بعضهم ولكن للرسول نفسه صلى الله عليه وسلم وأن المسلمين يتعبدون له، وهذا في حد ذاته وصف مُرادف لمعاني الوثنية التي أسبغها بعض المُؤرخين الأوربيين على المسلمين وبخاصة فولشر أوف شارتر حينما أشار إلى أن المسلمين يتعبدون لرسولهم، وأنهم حينما يتمكنون من امتلاك المدينة المُقدسة فإنهم سوف يُعيدون إحياء ذكرى رسولهم صلى الله عليه وسلم بتنصيب

([1]) Munro, *The Western Attitude*, pp.331-5.

([٢]) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣٣، ١٣٧.

([3]) Ludolph von Suchem, *Description of the holy land*, in PPTS., trans. by Aubrey Stewart, M.A., Hanover Square, (London, 1895), pp.100-101.

([٤]) انظر في ذلك: الأمين عبد الحميد أبو سعدة: "التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، عدد ٣٥، أغسطس ٢٠٠٤م، ص٣١٣-٣٥٠؛ حجازي عبد المنعم سليمان: "رفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة وتوظيفها في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثاني، ٢٠١٢م، ص٢١-٦٠.

([٥]) جولات الراهب الدومنيكاني فيلكس فابري ورحلاته، جـ٣٨ (١)، ص٩٢٤.

تمثاله في المدينة المُقدسة ولن يسمحوا لأي مسيحي بدخولها[١]، وهو أمر لم يحدث لا في المسجد الأقصى ولا في أي مسجد للمسلمين.

وقد استمدت تلك الصور التي ادعت تعبد المسلمين للتماثيل بعض ملامحها من عدة روافد حاول أربابها الربط بين مكة بأوثانها وأصنامها والدعوة للإسلام فيها، ولأجل ذلك – ووفقًا للمنظور الأوربي – نجحت دعوته صلى الله عليه وسلم بين هؤلاء المُشركين، ولذا ارتبط وصف المسلمين بالوثنيين كثيرًا في الحوليات الأوربية الوسيطة[٢]، وقد انتشرت تلك الأفكار في الممارسات البيزنطية والإسبانية في وقت سابق، وكان لها أثر واضح في استعارة بعض مؤرخي غرب أوربا على عصر الحروب الصليبية أهم ملامح تلك الصورة[٣].

أما وصف الإسلام كدين سماوي فقد أشار روجر أوف ويندوفر إلى أن المُسلمين يُقرون بوحدانية الله وأنهم لا يعبدون الرسول صلى الله عليه وسلم على غرار ما هو شائع في عصره، وأن المسلمين يعدونه رجل صالح وأنه نبي الله إليهم[٤]. وأشار وليم الصوري إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه "رسول المسلمين" وليس معبودهم ولكنه أردف بأنه صلى الله عليه وسلم سيكون سبب هلاكهم[٥]. وقدّم وليم أوف مالسبوري (ت:*1143*م) *Wilhem von Malmesbury* رؤية مُشابهة لما ذهب إليه نُوجنت أكد فيها فكرة التوحيد لدى المسلمين، وأنهم لا يعبدون رسولهم صلى الله عليه وسلم وإنما يعدونه رسولًا وصاحب رسالة وذلك في وقت بلغت فيه النظرة الخيالية إلى الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم حد الذروة[٦]، وبخاصة

(١) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣٣. وأيضًا:
Jacques de Vitry, *The history of Jerusalem*, in PPTS., trans. by Aubrey Stewart, vol. XI, (London, 1895), pp. 41-2.

(2) Fabri, F., *The Book of the Wonderings of Brother Felix Fabri*, vol. 2, Part 2, trans. A. Stewart, (London, 1893), p. 665.

(3) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.116.

(٤) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، جـ٣٩، ص٧٥٨-٧٥٩.

(5) William of Tyre, *A History of Deeds*, vol. 2, p. 323.

(٦) سوذرن: صورة الإسلام، ص٧٨. قدمت أرمسترونج طرحًا أكدت فيه أن كثيرًا من الأوربيين اليوم لا يقبلون سوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم مهرطق أو يعبد إلهًا وثنيًا، ولا يحاولون تصديق أنه صلى الله عليه وسلم رسول الله الذي أوحى إليه مثلما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام. انظر: أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٤٥. وأيضًا:
Thomson, R.M, *William of Malmesbury*, (Wear, Great Britain, 2003), pp. 17-59, 168-78.

بعد قيام بطرس المُبجل بترجمة معاني القرآن الكريم ووضعه رسالة دعا فيها المسلمين إلى ترك عقيدتهم بتعقل وهدوء ومن غير كراهية لأجل خلاص أرواحهم(١).

واتفق أوتو الفريزي في تاريخه – الذي وضعه بين عامي ١١٤٣ و١١٤٦م – مع تلك الرؤية الداعمة لعبادة المسلمين لله، وأنهم لا يعبدون الأصنام وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مُرسل من قبل الله، وأن مأخذهم الوحيد على المسلمين أنهم يُنكرون إلوهية السيد المسيح عليه السلام بالرغم من توقيرهم الشديد له وأنهم يعرفون العهد القديم وشعيرة الختان(٢). وقد وجدت تلك الصورة لذاتها مكانة ضئيلة بين بعض المثقفين بديلًا عن الصورة الشعبية المُغرقة في الخيال خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر(٣).

بيد أن الموضوعية لم تكن قد بلغت القوة التي تمكنها من تبديد الأساطير المُعادية للإسلام في غرب أوربا وإنما استمرت الحقائق والأوهام في امتزاجها وتوافقها(٤)، ودائمًا ما تغلبت النماذج النمطية المُعبرة عن التراث المسيحي الباكر عن صورة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث قاومت تلك الأنماط كافة التجارب والمعارف الجديدة التي اكتسبها بعض المؤرخين والرحالة الأوربيين عن الإسلام والمُسلمين خلال فترة الحروب الصليبية وما تخللها من صدامات عسكرية قوية بين المسلمين والصليبيين(٥)، وبلغ ذلك ذروته بانتصار صلاح الدين على الصليبيين في حطين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م(٦)، ولذا لم يُقَدَّر للرؤى المُنصفة أن

---

(١) سوذرن: صورة الإسلام، ص٨٢-٨٣.

(2) Otto of Freising, *Chronicon*, ed. G.H. Pertz, *MGH SSRG* (Hanover: Hahn, 1867), VII, 33, (pp. 334-35), translated by James Brundage, *The Crusades: A Documentary History*, (Milwaukee, WI: Marquette University Press, 1962).

أشار بوركهارد في القرن الثالث عشر إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسله الله إلى المسلمين فقط على ما جاء في قوله: "...ويقولون إن محمدًا هو رسول الله، وقد بعثه الله إليهم فقط..."، وفي هذا خلط لأنه صلى الله عليه وسلم بُعث للعالم أجمع وليس إلى المسلمين فحسب على ما فهم بوركهارد. انظر:

Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, pp. 50-1.

(٣) سوذرن: صورة الإسلام، ص٧٩.

(٤) تؤكد أرمسترونج أنه بالرغم من تلك الموضوعية التي ذهب إليها كل من *Malmesbury* و*Otto of Freising* فإن صورة الرسول صلى الله عليه وسلم ظلت تُقدم للأوربيين آنذاك على أنه المهرطق المنشق. انظر: أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٤٦.

(5) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.117-126.

(٦) عن أثر معركة حطين - واسترداد صلاح الدين للمدن الساحلية وبيت المقدس - في غرب أوربا انظر:

Hiestand, R., *Papsturkunden für Templer und Johanniter*, (Göttingen, 1972-84), vol. 2, pp. 324-7, no. 149; Kedar, B., 'Ein Hilferuf aus Jerusalem vom September 1187', Deutsches Archiv 38 (1982), pp. 120-2; *Gesta regis Henrici secundi et Ricardi primi*, ed. William Stubbs , vol. 2, pp. 36-8; Ralph of Diceto, *Opera historica*, ed. William Stubbs, (London, 1876), vol. 2, pp. 49-50; Jaspert, Nikolas, 'Zwei unbekannte Hilfsersuchen des Patriarchen Eraclius vor dem Fall Jerusalems (1187)', Deutsches Archiv 60 (2004), pp. 511-16.

تسود، وتوارت رؤى كل من روجر أوف ويندوفر ووليم أوف مالسبوري وأوتو الفريزي وغيرهم إلى الظل[١]، بينما سادت القوالب النمطية المُتسربلة بالرؤى الكنسية المتعصبة وانتشرت أكثر من سواها.

ونتيجة لذلك فقد طغى وصف المسلمين بالوثنية بقوة حينما أشار بعض المؤرخين إلى قيام صلاح الدين بإرسال وثنه الذي يتعبد له إلى القسطنطينية ولكن الصليبيين استولوا عليه ومنعوا إرساله؛ ترويجًا لوثنية المسلمين في موجة جديدة من الدعاية المُسيئة للإسلام والمسلمين[٢]، كما سعى أوليفر أوف بادربورن إلى مراسلة الملك الكامل لاقناعه بالتحول إلى المسيحية، ناهيك عن مناظراته مع الفقهاء المسلمين لإثباء صحة العقيدة المسيحية وفساد العقيدة الإسلامية[٣]، أما البابا أنوسنت الرابع *Innocent IV* (ت ١٢٥٤م) فقد أشار بعد الحملة الصليبية الرابعة إلى ضرورة تحرير الأرض المُقدسة من المُلحدين *Ampious*[٤].

وكما ذهبت أرمسترونج فإن الأوربيين الذين كانوا بحاجة إلى تفسير الدعوة الدينية الرائعة التي أتى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وسر نجاحها لم يجدوا سوى إنكار الوحي وبالتالي نفي وجود مصدر مُستقل للإسلام، وفي هذه الحالة سوف يكون الإسلام مجرد "مروق ديني" أو هرطقة خرجت عن المسيحية في شكل مستقل[٥]، وهي الأفكار التي تعود بجذورها إلى الحقبة البيزنطية التي اشتهر فيها الجدل البيزنطي[٦]، مثلما سيكون اتهام

(١) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، جـ٣٩، ص٧٥٨-٧٥٩.

(٢) بالرغم من اقتران الصورة التي قدمها مُؤرخ صليبية ريتشارد قلب الأسد - الذي وضع تاريخه في أثناء أحداث الحملة الصليبية الثالثة - عن الإسلام بالتجربة العملية القصيرة التي عايشها في الشرق فقد غلبت السطحية على ما قدمه عن الإسلام، حيث وصف المسلمين بالوثنيين بإشارته إلى حملهم وثنًا لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم في إحدى معاركهم ضد الصليبيين، مُردفًا أن عقائد المُسلمين لا تعد أن تكون خرافات يُؤمنون بها، وأنهم من أصحاب العقائد الفاسدة، ثم أجمل ذلك حينما قال عن المسلمين إنه لا إله لهم، كما وصفهم بالكفار *Infidels*. وقد جرى توظيف مصطلح الكفار *Infidels* لدى بعض المؤرخين الصليبيين وبخاصة لدى وليم الصوري بوصفه اتجاه مختلف إلى عبادة الله، واستُخدم أحيانًا للدلالة على نوع من الهرطقة المسيحية. وقد تبني وليم الصوري اتجاهًا معتدلًا في تفسيره لعقائد المسلمين، ورأى أن الإسلام يُعلّم أربابه الخوف من الله ويحثهم على طاعته. انظر:

Roger of Wendover, *Flowers of History*, vol. II, p.72; *Itinerary of Richard I*, pp.5-6,9-10, 46, 50-4, 137-40, 153-58, 195-96, 281; Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p. 353. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, pp. 341-42; Krey, *The First Crusade*, pp. 28-43; Schwinges, *William of Tyre*, pp.126-28.

(٣) Oliver of Paderborn, 'Briefe', pp. 288-95, no. 3, pp. 296-307, no. 5, pp. 307-14, no. 6.

(4) N.P. Tanner (ed.), *Decrees of the ecumenical councils*, Vol. I: Nicea I-Lateran V, (London, 1990), (Constitution 71), pp. 267-71.

(٥) أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٤٠-٤١.

(6) Meyendorff, *Byzantine Views of Islam*, p. 119.

المسلمين بالوثنية مبررًا لقيام جنود الرب وجيش المسيح عليه السلام بالتخلص من الأعداء الوثنيين الذين يُضايقون الحجاج والمسيحيين الشرقيين[١]. علاوة على أن الأوربيين لم يكن لديهم استعداد لتقبل الآخر المُخالف لهم في عقيدتهم وإنما سعوا إلى استبعاده، وذلك لأجل شيطنة الآخر من خلال تزييف صورة الرسول صلى الله عليه وسلم وتصويره في موقف المُعادي للسيد المسيح عليه السلام[٢].

وإضافة إلى ما سبق فقد اتهم بعض مُؤرخي أوربا الرسول صلى الله عليه وسلم **بالسطو على النبوة** من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في معرض تناولهم للشيعة والتشيع[٣]، وقد أشار وليم الصوري إلى ذلك بتصريح مباشر بأن عليًّا بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي سمت نفسه إلى مزيد من العظمة والشرف قد أشاع بين الناس بأن الملاك جبريل عليه السلام أُوحى إليه هو، ولكن نتيجة لخطأ ما فقد حصل الرسول صلى الله عليه وسلم على شرف النبوة بدلًا منه. وقد أشاع عليّ كرم الله وجهه أن الله قد لام الملاك جبريل على هذا الخطأ، وأن أهل السنة لا يُصدّقون هذا ويقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الرسل، بينما يُصدقه الشيعة ويدّعون أن عليًا رضي الله عنه هو أعظم الرُسل وأنهم يتهمون الرسول صلى الله عليه وسلم بالسطو على النبوة من عليّ كرم الله وجهه، وما زال الانقسام بينهم قائم حتى عصر وليم الصوري[٤].

وأشار جوانفيل بعد مرور قرن ونصف من الوجود الصليبي في الشرق إلى المعنى ذاته بقوله: "...وكان عليَّ هذا قد رفع مُحمدًا – صلى الله عليه وسلم – إلى مكانة التعظيم

([1]) Sabbatini, *The Image of Saracens in travel literature*, pp. 139-40.

([٢]) ذهب سوذرن إلى أن تلك الصور المُزيفة التي طالت العقيدة الإسلامية عمومًا والرسول صلى الله عليه وسلم خصوصًا لم تصمد طويلًا، وراح يحلل الدوافع التي أدت إلى تشكيل تلك الصور المُزيفة بقوله: "... ويبدو لنا أن أساس التصورات الخيالية عن تعدد الآلهة في الإسلام (مصدره) عدم معرفة الغربيين بغير عقيدتهم هم، فما دامت هذه العقيدة تقول بالثالوث فلابد أن تقول العقائد الأخرى الشيء نفسه، ثم يطرأ على ذلك كله تحريف سيء يجعل الدين زائفًا، وما دام المسيحيون يعبدون مُؤسس العقيدة المسيحية فلابد أن يكون المسلمون على نفس الشاكلة فيعبدون مؤسّس عقيدتهم هم. بيد أن هذه العبادة تتخذ أشكالًا شيطانية تتناسب وفكرتهم عن محمد - صلى الله عليه وسلم - وعن العرب الذين اتبعوه. هكذا تصور الغربيون الإسلام الذي لا يعرفونه متخذين العالم الذي يعرفونه نموذجًا لتصورهم، ويبدو ذلك واضحًا تمامًا في المؤلفات اللاتينية في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي". انظر: سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٩.

([٣]) يُؤكد هاملتون أن وليم الطرابلسي وغيره من المُؤرخين الأوربيين على عصر الحروب الصليبية لم يُميزوا بين الشيعة والسنة بوصفهم أتباعًا لمذهبين إسلاميين. انظر:

Hamilton, *Western Understanding of Islam*, p. 377.

([4]) William of Tyre, *A History of Deeds*, vol. 2, pp. 323-24.

التي تبوأها، فلما ثبتت أركان سيادة محمد – صلى الله عليه وسلم – على الناس احتقر ابن عمه، وباعد فيما بينه وبينه، فلما رأي عليّ ذلك جمع حوله أكبر عدد مستطاع جمعه من الناس ولقنهم تعاليم أخرى مناقضة لتعاليم محمد – صلى الله عليه وسلم، حتى أصبح المؤمنون بعليَّ الآن يرمون أتباع شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – بالكفر، وكذلك الحال إزاء المؤمنين بمحمد – صلى الله عليه وسلم – حيث يكفرون أتباع عليَّ..."[١]، وتُشير هذه الرواية تحديدًا إلى أن مرجعها أحد المصادر الشيعية المُتشددة التي تتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالسطو على النبوة من عليّ رضي الله عنه، وتلك أيضًا من المُغالطات التاريخية سواء لدى الشيعة أم من سلك دربهم من المؤرخين الأوربيين وغيرهم، وقد علل حسين عطية سبب ذلك الخلط نتيجة لقلة معرفة الصليبيين بالمسلمين بالقدر الذي يسمح لهم بمعرفة أبسط الحقائق التي تخص الإسلام وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

أما عن **الصورة التي قدموها عن القرآن الكريم** بحكم كونه كتابًا مُقدسًا جاء مُؤيدًا لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومُؤكدًا علاقته بالسماء فقد جاءت مُعادية في إطارها النظري الذي عُولج مُتأثرًا بالتراث البيزنطي والكنسي، وذلك بالرغم من عدم معرفة مُؤرخي غرب أوربا لمحتواه نظرًا لتأخر ترجمة معاني القرآن إلى اللغة اللاتينية حتى منتصف القرن الثاني عشر؛ فالقرآن لدى غالبيتهم شريعة مكتوبة وقد قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أتباعه مُدعيًا أنه من قبل الله عز وجل، وحينما ينفي القرآن إلوهية السيد المسيح عليه السلام مثلما ينفي عقيدة التثليث ويهدم أفكار الفداء والتجسد[٣] فهنا يُصبح القرآن كتابًا موضوعًا لدى غالبية من تناول هذا الموضوع من المؤرخين الأوربيين، وتبرز مرة أخرى إشكالية اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بوضع القرآن أو تلفيقه على المذهب النسطوري بمساعدة الراهب المنشق، باستعارة القصة البيزنطية عن البقرة التي وضع كتابًا بين قرنيها وادعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها شريعة الله إلى المؤمنين به.

---

(١) جوانفيل: مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، ١٩٦٨م، ص٢٠٦-٢٠٧.

(2) Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 210-11.

(٣) انظر: توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص١١٤-١١٥. وأيضًا:
Itinerary of Richard I, pp. 38, 43-4, 46-7, 137-8, 148, 151-2, 157-8, 164-5, 230-1, 254, 262, 281.

وقد أشار توما توسى إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نسخ القرآن من العهدين القديم والجديد مع ما أضافه صلى الله عليه وسلم من قصص وضعها بنفسه[١]. واستعار نوجنت القصة ذاتها وأضاف إليها أن المسلمين وجدوا في شريعتهم المكتوبة المُسماة "القرآن" جُملًا تُحل لهم التحلل الأخلاقي وتبيح أكل اللحوم المُحرم أكلها[٢]. أما بطرس المُبجل فأردف أن سرجيوس لقن الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن من خلال العهدين القديم والجديد على التفسير النسطوري الذي لا يعترف بإلوهية السيد المسيح عليه السلام[٣] اتساقًا مع دعوة الإسلام إلى التوحيد والمُخالفة للثالوث المسيحي، ووافقه يعقوب الفيتري في أن الرسول صلى الله عليه وسلم أضاف إلى العهدين ما وسوس له به الشيطان[٤]، بينما يُلوح فانسان دي بوفييه إلى أن الإسلام جاء نتيجة طبيعية لهرطقة مُنشقة عن المسيحية نظرًا لإقامة الرسول صلى الله عليه وسلم بين اليهود والمسيحيين في المدينة (يثرب) التي تعلم فيها شريعته[٥].

وتعرض وليم الطرابلسي لفرضية تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم من بحيرى الراهب كافة ما تعلمه وأكد أنه اقتبس القرآن من الإنجيل[٦]، وأشار إلى أن القرآن جُمع بواسطة المُتعلمين المسلمين (أي الصحابة والتابعين)، وأقر أن عقائد المُسلمين تشمل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي أوحى له بها جبريل عليه السلام، ولكنه أوضح أن قصة

([1]) Thomae Tusci, *Gesta imperatorum*, vol. 23, pp. 429–93. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.120

([2]) *The Deeds of God through the Franks*, trans.by Robert Levine, on http://onlinebooks.library.upenn.edu; Oliver of Paderborn, *The Capture of Damietta*, pp. 12-16, 112. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, pp. 337-342; Schwinges, *William of Tyre*, pp.126-8.

(٣) عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم، ص٨-٩.

يؤكد الباحث أن رواية بطرس المبجل فيها مغالطة للواقع لأن القرآن جُمع من صدور الحفاظ ثم جُمع الحديث بعد ذلك بفترة، وأما ادعاء تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن من بحيرى فإنه أمر مستحيل كما سبق وأشرت لأنه صلى الله عليه وسلم زار بحيرى مرة واحده في حياته ولم يتصل به بعدها ولم يكن قد تجاوز الثانية عشر، وكان من المستحيل أن يلقنه أو يُحفظه آيات القرآن التي بلغت ٦٢٣٦ آية في لقاء واحد وفي ذلك السن ولم يكن يعرف القراءة والكتابة طوال حياته صلى الله عليه وسلم.

([4]) James of Vitry, Lettres, pp. 79-97, no. 2.

(٥) عمر إبراهيم: صورة الإسلام والمسلمين، ص٢٤-٢٥. وأيضًا:

Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 125-6.

(٦) عبد الرحمن بدوي: دفاع عن محمد صلى الله عليه وسلم، ص٨-٩. وأيضًا:

Tolan, *Saracens*, p.52.

تعلم الرسول صلى الله عليه وسلم من المسيحيين الكاثوليك غير صحيحة، وأن القرآن لم يُجمع سوى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عامًا نظرًا لأنهم لم يجدوا شيئًا يستحق الذكر في تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم ولذا فإنهم قاموا بجمع القرآن(١).

بينما نظر متى الباريسي إلى القرآن على أنه وحي من الشيطان، وقد وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلط فيه بين الحق والباطل حينما أخذ من التوراة والإنجيل القليل وأضاف إليهما الكثير ليكون كمن يدس السم في العسل على حد زعمه(٢)، بالرغم من إقرار متى الباريسي بضرورة إيمان المُسلم بالكُتب المُقدسة السابقة وهى التوراة والإنجيل، وفهم خطأ أن هذا الإقرار يُوضح أن المسلمين لا يعترفون إلا بثلاثة أنبياء وهم موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام(٣).

وبالرغم من ذلك فقد أشار بعض هؤلاء المؤرخين إلى نصوص القرآن التي تُكرّم السيد المسيح والسيدة مريم – عليهما السلام – وما ارتبط بهما من أوصاف ومكانة يتفق عليها المسيحيون بصفه عامة؛ فقد جاء في وصف فولشر أوف شارتر للمُسلمين وقت دخوله بيت المقدس بأنهم جميعًا "...يبجلون معبد الرب تبجيلًا عظيمًا، وهناك أكثر من أي مكان آخر يُفضلون تلاوة الصلوات لدينهم على الرغم من أن هذه الصلوات تضيع سدى لأنها تقدم لصنم أقيم هناك..."(٤)، وأكد روجر أوف ويندوفر بأنه ورد في "...كتابهم الذي هو القرآن بأن مولانا يسوع المسيح عليه السلام قد حُمل به وولد من قبل العذراء مريم التي يعترفون بأنها عاشت بين الناس من دون ذنب، وأن المسيح عليه السلام نبي، لا بل أكثر من نبي لأنهم يؤكدون...بأنه أعاد النظر إلى الأعمى، وشفى المجذوم، وأعاد ميتًا إلى الحياة، كما

(1) Wilhem von Tripolis, *Notitia de Machometo*, pp.75-81, 88-90, 108-10, 201-17, 239-41, 283-305, 321-23, 374-82, 390, 397, 402, 405, 410, 414, 420, 432, 438. Cf. also: Munro, *The Western Attitude*, pp.341-342.

(٢) يؤكد ميندورف أن هذا التوجه كان وليدًا للحقبة البيزنطية التي انتشرت فيها آراء يوحنا الدمشقي. انظر: Meyendorff, *Byzantine Views of Islam*, pp. 119.

(3) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p. 357. Cf. also: *English History*, vol. 1, p .p25.
جاء في قوله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ". سورة البقرة، آية ٢٨٥.

(٤) فولشر أوف شارتر: الاستيطان الصليبي، ص١٣٣.

أنهم يعتقدون بأن كلمة وروح الإله الحي قد صعدت إلى السماء..."[١]، مُشيرًا إلى التزام المسلمين بالأوامر التي حثهم عليها القرآن[٢].

وبالرغم من التفسيرات الخاصة التي أضفاها روجر على النص القرآني فإن ما نقله يعني من جهة أخرى اطلاعه على كثير من معاني القرآن الكريم، وربما كان ذلك أحد نتائج مناقشة بعض الأوربيين للأسرى المسلمين في دينهم ربما لتنصيرهم[٣]. وأكد بوركهارد تلك المعاني بروح الناقد النابه بإشارته إلى ما يعتقده المسلمون بخصوص السيد المسيح عليه السلام حيث يقدرونه ويُبجلونه ويعتقدون أنه من أعظم الأنبياء وأنه نفخ من عند الله ووضعته مريم عليها السلام ورُفع إلى السماء، واكتفى بالاشارة إلى ما طالعه في القرآن بنفسه من آيات وسور فيها توقير وتكريم للسيد المسيح والسيدة مريم العذراء عليهما السلام[٤].

وراق لوليم الطرابلسي الانصات إلى تلاوة القرآن وإن كان قد أكد أنه أُعجب بجمال صوت القارئ وليس تأثرًا بجمال الآيات ذاتها أو معانيها، وعلاوة على ذلك فإنه نقل عن القرآن الكريم بعض الآيات بحيث كان القرآن مصدرًا رئيسًا له في بعض الموضوعات التي عالجها بخصوص السيد المسيح والسيدة مريم عليهما السلام[٥]. وأشار متى الباريسي إلى أن السيد المسيح عليه السلام من أعظم الأنبياء لدى المسلمين، كما يؤمنون بأنه رُفع حيًا إلى السماء ويُتوقع أن يعود إلى الأرض مرة أخرى وأنه لم يُصلب[٦].

وفي معالجتهم لإشكالية **انتشار الإسلام** فقد أشار روجر أوف ويندوفر إلى ذلك بقوله عن العقيدة الإسلامية: "...وقد بدأت بالسيف وحُوفظ عليها بالسيف، ولسوف تنتهي بالسيف...ولأنه كان رجلًا قويًا وسيدًا للعرب فقد تسبب عن طريق التهديد بالأخذ

---

(١) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، (جـ٢)، جـ٣٩، ص٧٥٨-٧٥٩. وأيضًا:
Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, pp. 50-1,103.

(٢) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، (جـ٢)، جـ٣٩، ص٤٠٤-٤٠٥.

(٣) انظر: أسامة بن منقذ: الاعتبار، ص٤٠، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٨٧، ١٢٠. وأيضًا: يوشع براور: عالم الصليبيين، ص١١٤. وأيضًا:
Attiya, *Knowledge of Arabic*, pp. 203–13.

(4) Burchard of Mount Sion, *A Description of the Holy Land*, pp. 50-1, 103.

(5) Wilhelm von Tripolis, *Notitia de Machometo, pp.* 108-10, 201-17, 239-41. Cf. also: Attiya, *Knowledge of Arabic*, p. 212.

(6) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p. 355.

بشريعته..."[1]، وأشار جوتفريد إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم نجح في إقناع كل من قابله بأن يتبعه ثم استخدم السيف كي ينشر الإسلام بين جيرانه الشرقيين بالقوة، ثم وصف الإسلام بأنه دين العنف والسيف، وزعم أن سر نجاح دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يعود إلى الطبيعة الإجرامية لمن أحاطوا به قبيل دعوته والذين قبلوها على الفور لأنها تتناسب مع طبيعتهم الشريرة، ولذا فإنهم نشروا دعوته فيما بعد بالقوة، ولأنهم كانوا من الوثنيين فلم يترددوا في قبول تلك الدعوة الوثنية منذ البداية[2]، وراح بوفييه يؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولكي ينشر دعوته فإنه توعد من رفضها بالموت والفناء[3].

وبالرغم من المُغالطات الكثيرة التي تحويها تلك الروايات التي تسعى إلى تأكيد انتشار الإسلام بالسيف فإنها وجدت لها صدى لدى المُستشرقين فيما بعد، وذلك على الرغم من الافتراء البين فيها وتعارضه مع حقيقة انتشار الإسلام في شرق آسيا وغالبية إفريقيا بالرغم من عدم وصول جيوش المسلمين إلى تلك الأماكن. وترى *Luchitskaja* أن المؤرخين الأوربيين الذين عالجوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يسعون إلى تحويل كل فضيلة لدى المسلمين إلى نقيصة كي تصب في الفكرة التي تناقلوها عن مُعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسيح عليه السلام والمسيحية، وهي الفكرة التي تم تكريسها في التراث الكنسي منذ وقت مُبكر على ما ذهب دي بوفييه.

ومن هنا بات التساهل والتحلل لدى المسلمين مُقابلًا للزهد لدى الأوربيين، ويُقابل العنف والسيف لدى المسلمين بالتسامح والمحبة لدى المسيحيين وذلك بهدف شيطنة الدعوة الإسلامية بصورة فظة ومتعمدة، خصوصًا أن لفظ وثني الذي التصق بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم اقترن في المخيلة الشعبية الأوربية الوسيطة بالشر المحض وقوى الشر

---

(1) روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، (جـ٢)، جـ٣٩، ص٧٥٨-٧٥٩.

(2) Gotfredi Viterbiensis Pantheon, *Monumenta Germanica Historia*, vol. 22, p. 280.

(3) Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p. 121.

ترى أرمسترونج أن العقلية الأوربية خلصت إلى أن الإسلام دين يُؤمن بالعنف ويُمجد الحرب والقتال، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سخّر تلك العقيدة لخدمة فتوحاته كي يحكم العالم، وأكدت أرمسترونج أن كثيرًا من الأوربيين ما زالوا يؤمنون بتلك الأفكار، وذلك على الرغم من كثير من الدراسات الغربية الجادة التي أثبتت زيف تلك الأفكار. انظر: آرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٣٧-٣٨.

والسحر الأسود بعكس المسيحية التي قدموها بوصفها ديانة الرب[١]. وقد ذهب سيجيبرت *Sigebert of Gembloux* وغيره من مُؤرخي الحوليات التي عالجت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن إظهار مساوئ الآخر في مقابل إظهار حسنات الأوربيين المسيحيين سوف تُؤدي إلى تعميق الوعي الثقافي المسيحي[٢]، بحيث صار لدى الأوربيين صورة واضحة عن أنفسهم بفضل الصورة المُشوهة التي رسموها عن الشر النابع من الدعوة الإسلامية ومُؤسسها[٣].

ووقع متى الباريسي في تناقض خطير في حديثه عن **أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم**؛ فتارة يُشير إلى أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفهم غطوا نقاط ضعفه بقدر ما استطاعوا ليجدوا لهم موطئ قدم في بلدان الشرق، وأنهم أنجزوا مهمتهم بسهولة لأنهم بشروا بعقيدة توافق رغبات الجسد وتلبي الملذات الحسية، وتارة يُشير إلى عدم سيطرة الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه، بحيث صاروا يقتلون وينهبون وفق هواهم، وتارة ثالثة بتصوير صحابته وهم يتصارعون على خلافته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بالإشارة إلى طمع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المُلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن أبا بكر حرمه من مسعاه لا لشيء سوى للمكسب والشرف الدنيوي[٤]، وهنا يتضح التأثير الشيعي على تلك الرواية وضوحًا يجعل من واضعها كمن يدس السم في العسل.

بينما قلل بعضهم من شأن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حينما وصفوهم بأنهم من الفقراء أو اللصوص أو من جهلاء العرب، واستغل بعضهم مفهوم النعيم الإسلامي وأنهار اللبن والعسل لإقناع العامة بالإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم[٥]. وذهب جوتفريد إلى أبعد من ذلك حينما وصف أتباع الرسول بأنهم من المُجرمين وقطاع

(1) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.120.
(2) *Sigeberti Continuatio Gemblacensis*, *Monumenta Germaniae Historica: Series Scriptorum)*, vol. 6, p. 323.
(3) Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp.120, 125.
(4) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p.353.
(5) Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, II, Douai, 1624. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 125-6.

الطرق الذين استجابوا وحدهم لدعوته، لأنه يرى أن عقيدته مجرد شر محض، وزعم جوتفريد أنه لم يكن غريبًا أن يكون غالبية أتباعه من المجرمين واللصوص(١).

ووجه متى الباريسي الاتهام ذاته إلى من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة أيضًا في مُخالفة تاريخية واضحة وتجاهلًا لمن آمن به صلى الله عليه وسلم من أعيان المدينة وعلماء اليهود وأحبارهم قبل الهجرة وبعدها(٢). كما اتهمه متى الباريسي بالتعدي على قوافل التجار نتيجة لاتهامه بعض أتباعه بأنهم كانوا من اللصوص وقطاع الطرق وأنه وظفهم لقطع طرق التجارة وسرقة التجار(٣) وذلك خلافًا للحقيقة بهدف دمغ غزواته وسراياه صلى الله عليه وسلم بالطابع المادي فحسب تشكيكًا في رسالته وهدف دعوته إلى العالمين.

ولا تخل تلك الروايات من مُغالطة واضحة وجلية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عُرف في مكة قبل بعثته بالصادق الأمين(٤)، ولا أدل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم حرص على تسليم الأمانات التي كانت في بيته لأربابها قبيل رحيله عن مكة، وكان غالبية أصحابه من سادات العرب وأغنيائهم في الجاهلية وليس اللصوص وقطاع الطرق. وعلاوة على ذلك فقد تغاضى كل من جوتفريد ومتى الباريسي وغيرهما عن الشخصيات التي دعمت الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنت به وينحدرون من أسر عريقة ولها وزنها على غرار أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وغيرهم ممن آمنوا برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم. كما غلب الخلط والتدليس والمغالطة على رواية متى

---

(1) Gotfredi Viterbiensis Pantheon, *Monumenta Germanica Historia*, vol. 22, p. 280. Cf. also: Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, p.121.

(٢) محمد فوزي رحيل: صورة الإسلام، ص٢٥٥.

(3) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, pp.346-7.

(٤) لم تخل رواية مؤرخي القرنين الثاني عشر والثالث عشر من وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب والمخاتلة والخداع في كسب أتباع جدد. وترى *Luchitskaja* أن سرد غالبية مؤرخي تلك الحقبة لكثير من المعجزات ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم على غرار معجزة إنشقاق القمر وأوعية الحليب والعسل والحمامة والبقرة البيضاء وتغلبه على الذئب الذي واجهه وجعله يطير وما إلى ذلك من معجزات نسبوها إليه بعد أن أسبغوا عليها من خيالهم الأسطوري الواسع كانت تهدف في المقام الأول إلى تأكيد صفات الكذب والتضليل لدى الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ذهبت *Luchitskaja* إلى أن أعظم معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم على الإطلاق والتي يرددها المسلمون هي معجزة الوحي والقرآن الكريم، وبالرغم من ذلك فقد ذهب الخيال المريض لدى بعض مؤرخي غرب أوربا إلى إسقاط ما حوته مخيلاتهم الشعبية الواسعة على سيرته صلى الله عليه وسلم. انظر:
Luchitskaja, *The Image of Muhammad*, pp. 118-25.

الباريسي عن السرايا والغزوات، وقدم وأخر في أحداثها ولفق في أحداث السيرة بصورة تُربك القارىء ولا تزيده سوى حقدًا على الرسول صلى الله عليه وسلم، وما إلى ذلك من أكاذيب وادعاءات نجم بعضها عن جهل وبعضها الآخر عن تعمد الإساءة وعدم السعي الجاد لمعرفة الحقيقة على ما أكدت دانا مونرو(١).

كما تعرض بعض المؤرخين الأوربيين إلى **وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم** واتخذوا من ذلك فرصة للتشكيك في نبوته مرة أخرى؛ فأشار متى الباريسي إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد سُم في فخذ شاه على يد امرأة يهودية تُدعى زينب، وعند أكلها فقد نطق الذراع بأنه مسموم، وبعد ثمانية عشر عامًا كما يشير متى الباريسي فإنه صلى الله عليه وسلم مات مسمومًا، وعاد "متى" للتشكيك في نبوته صلى الله عليه وسلم في حادثة وفاته بأنه لو كان صلى الله عليه وسلم رسولًا حقًا لاكتشف وجود السم، وحين حضرته الوفاة صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه مرض الموت فإنه طلب من أصحابه عدم دفنه لأنه سوف يرتفع إلى السماء وحينما لم يصعد فإنهم دفنوه بعدما تبينوا عدم صدقه على زعم متى الباريسي(٢)، ثم عاد الأخير لمناقضة روايته بقوله إن الرسول صلى الله عليه وسلم أصابه صرع فوقع على الأرض وحيدًا بعيدًا عن أصحابه بين الموت والحياة ولم تكتشفه سوى خنزيرة مع صغارها الجائعة فتكالبوا عليه فخنقوه ومن يومها يكره المسلمون الخنازير(٣).

وقد تأثرت رواية متى الباريسي هنا بما ساقه كل من جيوبرت أوف نوجنت ويعقوب الفيتري اللذان تأثرا بالرواية الشعبية السائدة في عصرهما عن خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء مُشابه، وقد نقل متى الباريسي المعاني والتعبيرات التي راقت له أكثر من حرصه على نقل الحقيقة طالما أن ما ينقله يستثير غالبية الأوربيين ضد الرسول صلى الله

---

(1) Munro, *The Western Attitude*, pp. 329-31.

وأيضًا: محمد رحيل: صورة الإسلام، ص٢٥٥.

(2) Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p. 349.

(3) Matthaei parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, pp. 349-50.

لم يكن متى الباريسي وحده الذي تحدث عن الصرع لدى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان موروثًا بيزنطيًا قديمًا، وبات من أهم النماذج النمطية للتراث الكنسي في معالجته لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. والواقع أن الصرع مرض عضوي خطير يفقد معه من يعاني منه السيطرة على جسده وعقله في نوبات متكررة، وهو أمر يتنافى مع أي شكل من أشكال الزعامة والقيادة التى تحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن المرض يفقد المُصاب به السيطرة على ذاته - ومن ثم استحالة قيادة غيره – وتهون مهابته في عيون من حوله، وقد عُرف الرسول صلى الله عليه وسلم بعظمته القيادية والدعوية، وهو ما يتنافى منطقيًا ويتعارض تاريخيًا مع اتهامه صلى الله عليه وسلم بذلك المرض الخطير.

عليه وسلم[١]، وهذا تدليس جلي من متى الباريسي؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى أن يدفن في مكان وفاته ليس أكثر[٢]. وقد أكد سوذرن أن قصة الخنزير تلك ما هي إلا تطوير بغيض وكريه لبعض ملامح الصورة البيزنطية المُشوهة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وتستند إلى "...حكم الرأي العام وصورة الرأي العام، وما يأتي بعد ذلك ليس غير خيال محض ومريض في أحيان كثيرة"[٣].

وهكذا وُلدت الصورة التي تشكلت لدى المؤرخين الأوربيين عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من رحم التفاعل الذي نجم عن تصارع الأفكار الموروثة عن بيزنطة وآباء الكنيسة البيزنطية، إضافة إلى الرؤى المُختلفة التي اكتسبها الصليبيون بعد احتكاكهم بالمسلمين في الشرق وعودة بعضهم إلى الغرب بمعارف جديدة وخبرات غير تقليدية سواء حقيقية أم مُلفقة[٤]. ولذا يُعد أقوى أثر تركته الحملة الصليبية الأولى نتيجة للمكاسب التي حققتها على حساب المسلمين أن الصليبيين تعرفوا على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم بشكل مباشر ودون وسيط، وتداولوا اسمه صلى الله عليه وسلم ورددوه حتى وان كانوا غير دقيقين في الصور الذهنية التي رسموها عنه صلى الله عليه وسلم.

وكان للخيال دور مهم في رسم ملامح تلك الصورة لأنها جُمعت من حكايات الفرسان العائدين من الشرق وقصص الكهنة والرهبان في جنوب فرنسا، وانتقلت من أحاديث المُسامرة الشعبية التي رسمها الخيال الأوربي إلى المدارس والأديرة الوسيطة بعد وضعها في شكل مدرسي بمخيلة شعبية مُروعة قاومت بعدئذ كافة أشكال المعلومات الصحيحة ونصف الصحيحة. ويؤكد سوذرن أن العقلية الأوربية كانت ميالة آنذاك إلى تصديق ذلك لأنها كانت تمر بحقبة ازدهر فيها هذا النوع من الخيال، وظلت صورة الرسول صلى الله عليه وسلم

([1]) James of Vitry, Lettres, pp. 79-97, no. 2; Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, pp. 345-46.. Cf. also: Munro, *The western attitudes*, p. 341.

([٢]) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٥، ص٢٦٧. وعن الخلط والتلفيق وعدم الدقة لدى متى الباريسي انظر: Matthaei Parisiensis, *Chronica Majora*, vol. III, p. 346.

([٣]) سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٨-٦٩. وأيضًا: Fabri, *The Book of the Wonderings of Brother Felix Fabri*, pp. 665-75.

([٤]) عز العرب أحمد سليمان: بلاد الشام من خلال كتابات الرحالة الألماني بوروكهارد، ص١٩٢-١٩٣؛ سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٧-٦٨، ٧٦؛ أرمسترونج: سيرة الرسول محمد، ص٢-٣٩.

تتطور وفق هذا المنظور بشكل شعبي جاء مُلبيًا للعقلية الأوربية الكارهة للرسول صلى الله عليه وسلم[١].

نتائج البحث:

خلص الباحث من دراسته لهذا الموضوع إلى عدة نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- تصاعدت نبرة العداء تجاه الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم على عصر الحروب الصليبية نتيجة لحرص الأوربيين على توظيف كراهية الإسلام والمسلمين في أوربا للدعوة إلى المشاركة في الحملات الصليبية لتصبح وسيلة من وسائل شحذ الهمم ورفع المعنويات واستعادة الأيديولوجية الصليبية، وباتت الدعاية المُسيئة للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم واحدة من أهم وسائل رفع همم الأوربيين للمشاركة في الحملات الصليبية، وغالبًا ما اقترنت الدعاية الأوربية المُسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالانتصارات التي أحرزها المُسلمون على الصليبيين كرد فعل تكرر كثيرًا عشية الدعاية لأي حملة صليبية جديدة ردًا على انتصارات المسلمين على حساب الصليبيين في الشرق.

- تأثرت الصورة التي قدمها الأوربيون في العصور الوسطى عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالصورة المُتوارثة عنه في أوربا بوصف الإسلام الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم يهدم أفكار التجسد والفداء والتثليث وإلوهية السيد المسيح عليه السلام، علاوة على صور أخرى أنتجها الاحتكاك بين الطرفين، وقد غلب على الصورة الأولى الجهل الواضح بسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ودعوته وأتباعه وسائر حياته حتى وفاته لكونه من نتاج المخيلة الأوربية المغرقة في التعصب والكره، بينما غلب على الصور الأخرى – التي احتك أربابها بالمسلمين في الشرق أو اعتمدوا على مصادر شرقية – الخلط بين معلومات حقيقية وأخرى مُلفقة ومغلوطة، وبخاصة أن أغلب كُتاب تلك الفترة كانوا من بين رجال الدين المسيحي في أوربا بما حملوه من تعصب وكره تجاه الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد جعلت منهم البابوية أبواقًا لدعايتها ضد الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سوذرن: صورة الإسلام، ص٦٥-٦٦.

– نتجت الرؤى المتضاربة التي وقع فيها كثير من مؤرخي غرب أوربا حينما اتهموا الإسلام بالوثنية تارة وبالكفر والهرطقة تارة أخرى عن تدرج نظرتهم إلى الإسلام ورسوله الكريم وتوظيفهم تلك الرؤى في مراحل تاريخية معينة؛ فقبيل الحروب الصليبية كان من الشائع أن يتهموا الإسلام بأنه هرطقة منشقة عن المسيحية في محاولة لتبرير أهم ملامح قوة ذلك الدين الذي جذب الكثيرين إلى اعتناقه من أهالي البلدان المفتوحة من المؤمنين بالمسيحية، وقد تأثروا في تلك المرحلة بالتفسيرات التي وُلدت على يد مسيحي الشام وبيزنطة، وهنا نُسبت روعة الإسلام وقوته إلى المسيحية بوصف الإسلام هرطقة منشقة عن المسيحية. وحينما دعت البابوية إلى الحملة الصليبية الأولى فقد بات من المُلح أن يتغير وصف المسلمين من هراطقة إلى وثنيين لأن الحروب الصليبية المُقدسة لم تكن قد وُظفت بعد ضد المخالفين في العقيدة المسيحية، ولذا – وعلى ما ذهب ميندورف – فقد صُور المسلمين بالوثنيين لتبرير محاربة جنود المسيح لهم وقتلهم، وإن لم يقم غالبية مؤرخي غرب أوربا بوصف المسلمين بذلك، بحيث كان بعضهم ونتيجة لعدم وضوح الصورة يصفون الإسلام بالهرطقة والكفر تارة وبالوثنية تارة ثانية، وجمع بعضهم بين تلك الأوصاف في وصفه للإسلام والمسلمين. أما من نفى منهم عبادة المسلمين لرسولهم فإنهم لم يخرجوا في النهاية عن نمط الكتابة الكنسي المألوف في عصرهم، لأن كافة الرؤى المُرتبطة بالرسول صلى الله عليه وسلم اعتمدت على التفسيرات الكنسية التي تعمدت الإساءة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بدليل تعاطي كل من جيوبرت أوف نوجنت وأتو الفريزي ويوحنا مالسبوري وغيرهم مع التصورات المغلوطة والمنتشرة في عصرهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم برغم تصريحهم المباشر وغير المباشر بعدم دقتها وافتقارها إلى المنهجية.

– إذا كانت المشكلة الحقيقية تكمن في وجود معلومات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين في المصادر التي غلب عليها الصبغة الكنسية ووضعت وفق ظروف معينة من قبل رجال الدين في أوربا العصور الوسطى لمهاجمة الإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فإن الصورة ذاتها ربما بتفاوت قليل أو كثير ما زالت قائمة في أذهان الأجيال التي ورثت ذلك التراث وتقوم على دراسته في الوقت الراهن سواء من رجال الدين أم غيرهم، وهي ذاتها الصورة التي ورثها كثير من المستشرقين وغلبت على تفكيرهم وهم يتصدون لدراسة

الإسلام والمسلمين قديمًا وحديثًا. وهنا يتعين على المسلمين أن يُكثّفوا جهودهم وبوعي أكبر كي يُزيلوا الخلط الذي وقع فيه القدماء ويطرحوا الصورة الحقيقية للإسلام بأبسط معانيه أمام الأجيال الجديدة والقادمة، وبذل جهد أكبر في مجال تصحيح ما ورد في المصادر الأوربية في العصور الوسطى بخصوص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي النهاية فإنني لا أدعي أنني حصرت كافة روايات مؤرخي غرب أوربا عن الرسول صلى الله عليه وسلم على عصر الحروب الصليبية، وإنما اجتهدت للوقوف على نظرة شاملة على ملامح تلك الصورة مستفيدًا من أكبر قدر من مصادر غرب أوربا التي تعرضت تصريحًا أو ضمنًا للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بيد أن الغريب حقًا هو الاتجاه الواضح لتعمد الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم باستخدام جانب من الحقيقة ودمغه بالتلفيق البين الذي يسهل على المسلم نصف المتعلم اكتشافه ومعرفة مواطن الخطأ والتلفيق أو عدم الدقة في النقل.

Picture of the Holy Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace
In light of the writings of Western European historians on the era of the Crusades 1095-1291 CE

Dr.. Hegazy Abdel Moneim Soliman

Research Summary :

This research aims to identify the most important features of the image of the Holy Prophet Muhammad bin Abdullah, peace be upon him in the light of the writings of historians in western Europe during the era of the Crusades (1095-1291 AD) as an important period of the history of relations between East and West in the Middle Ages. The research will be limited to presenting this image in the light of the writings of historians of Western Europe at the time, in order to distinguish them from non-European historians who dated to the era of the Crusades.